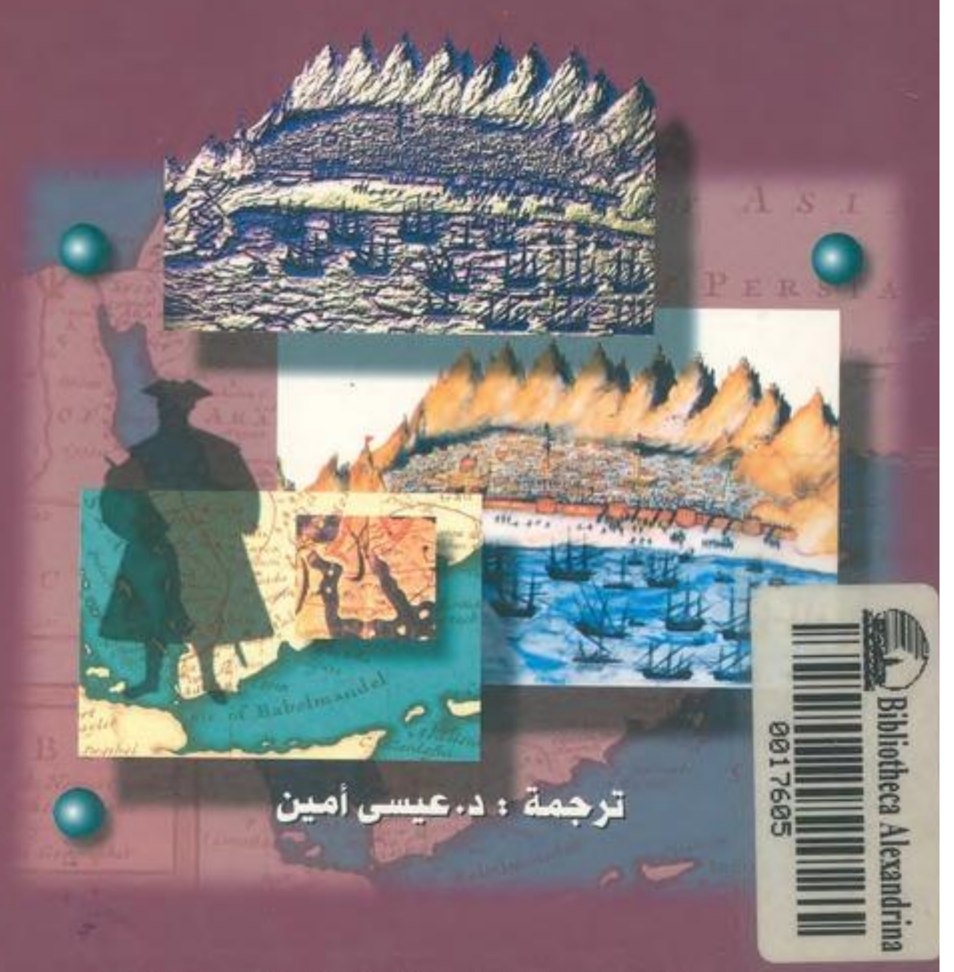
السلسلة التاريخية

الموسوعة البرتغالية

تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي

مذكرات دوارتي بربروسا وجون هيوفان لينخوتن ومقالة تشارلز بوكسر



ترجمة : د. عيسى أمين

من اصدارات مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

الموسوعة البرتغالية

تاريخ البرتغاليين فى الخليج العربي

. مذكرات دوارتي بربروسا 1518م
. وجون هيو فان لينخوتن 1598م
. ومقالة تشارلز بوكسر فى المنافسة الانجلو
. برتغالية فى الخليج 1615 . 1635

ترجمه عن الانجليزية دكتور/ عيسى أمين

من اصدارات:
مؤسسة الايام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

السلسلة التاريخية

كتاب: الموسوعة البرتغالية

تاريخ البرتغاليين فى الخليج العربي

ترجمة: د. عيسى أمين

رقم الإيداع في المكتبة العامة ـ البحرين

1971 د.ع / 1996م

من اصدارات مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع

المنامة ـ البحرين ص. ب: 3232

هاتف: 727111 فاكس: 723300

الاهداء

الى عشاق التاريخ ومحبي المعرفة
اقدم هذا الكتاب

الموسوعة البرتغالية
تاريخ البرتغاليين فى الخليج العربي

. مذكرات دوارتي بربروسا 1518م
. وجون هيو فان لينخوتن 1598م
. ومقالة تشارلز بوكسر

فى المنافسة الانجلو . برتغالية فى الخليج 1615 . 1635

ترجمة الدكتور عيسى أمين

المقدمة

أن مؤلف هذا الكتاب موظف حكومي عـمل مع السلطات البرتغالية فى الهند من عام 1500 حتى 1517م.

واشتهـر هذا الكتاب بعد ترجمتـه الى الايطالية وطباعتـه فى البندقية عام 1563. بعدها تم العـثور على النسخة البرتغـالية الاصلية فى بداية القرن التاسـع عشـر واعيدت طباعتها فى لشـبونه عام 1813، وترجمت بعدها الى الاسبانية فى برشلونه وعثـر على نسخة من هذه الترجمة فى ميونخ.

لقـد تمت الترجـمة الى الانجليـزية من نسـخة برشلونة الاسـبانيـة بواسطة اللورد ستانلى فى عام 1865.

وقـد اعـيدت ترجـمـة هذا العـمل من البـرتغـالية مـرة اخـرى والى الانجليزية فى عام 1813 والتى ننقل الترجمة منها الى العربية الآن:

وقبل الدخول فى مادة الكتب يستحسن ان نذكر شيئاً عن حياة المؤلف وعن الفرص النادرة التى توفـرت له ليقوم بتـدوين ملاحظاته فى بداية العصر البرتغالى فى الهند.

أ) رحلة بربروسا الأولى الى الهند:

ولد دوارتي بربروسا فى عـائلة متـوسطة الحال وكان والده دييـجو بربروسا يعمل فى خدمة حاكم (دوق) (بارجانكا) (Braganca) وكان اكثر ميلا الى أخ الحاكم الدوم الفيرو.

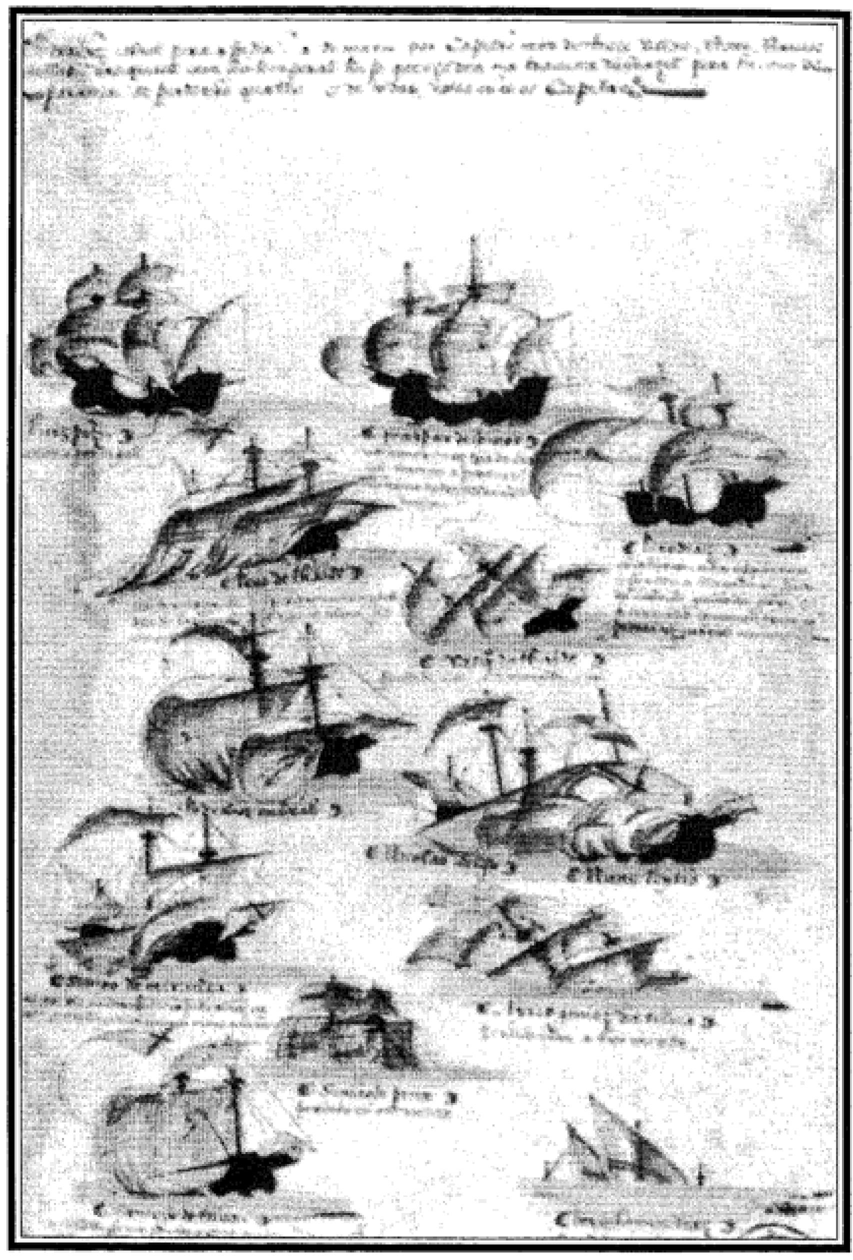
اما عم دوارتى بربروسا فهو كونجالوجل بربروسا وقد زار هذا العم الهند فى عام 1500م برفـقة اسطول القـائد البرتغالي (بيـدرو الفاريز

كـبرال) وعـمل فى كـوشين (Cochin) ممثـلا تجـاريا فى هذا الميناء للبرتغال.

اما والده دييـجو بربروسـا فقد زار الهند فـى عام 1500 مع اسطول القائد جالـيسيان. جو. دا. نوفـا ولكن لا نعرف وظيفتـه الاصلية الا اننا ربما نلقي الضـوء على تلك الوظيـفة المجـهولة لو صـدقنا ما ذكـره دى باروس عن دييجو بربروسا بأنه كان قائداً بحرياً لاحدى السفن (الاربع البرتغالية) والتى كانت خاصة بسيده دوم الفارو. دى. بارجانكا. والذى قـام باعـدادها لهـذه الرحلة، ويذكـر باروس بأنه عند عـودة الاسطول (اسطول دا. نوفـا) الى البرتغال تـرك بعض الاشخاص فى (كـانانور) بصفة وكلاء تجاريين يمثلون القطاع الخاص والشخصيات المرموقة فى البرتغـال ومن ضمن هؤلاء رجل يدعى بايور رودريجـوس قام دييـجو بربروسا بتوظيفه فى هذه المهمة ممثلا ـ للدوم الفارو ـ ومن هناك توجه الى كـوشين وترك مـجمـوعـة اخرى مـن الرجال مع كـونجـالو. جل. بربروسا (اخيه).

اننا نعتقد الآن بأن دوارتي بربروسا قد زار الهند لأول مرة مع عمه او وربما والده فى المرة الثـانيـة، ولكن وبعد دراسـة عـامة يبـدو ان رحلة دوارتى بربروسـا الى الهند كـانت مع القائد بيـدرو. الفـاريز ـ كبـرال وليس مع جو. دا. نوفا.

لقد مر بيدرو الفاريز ـ كـبرال وهو فى طريقه الى الهند بساحل شرق افريقيا وتوقف فى سفاله ـ وموزمبيق ـ وكيلوه ـ وممباسا ـ وملندى ـ ومقـديشو ـ وبعدها الى جـزيرة سوقطرة ومـدخل البحر الاحـمر وثم

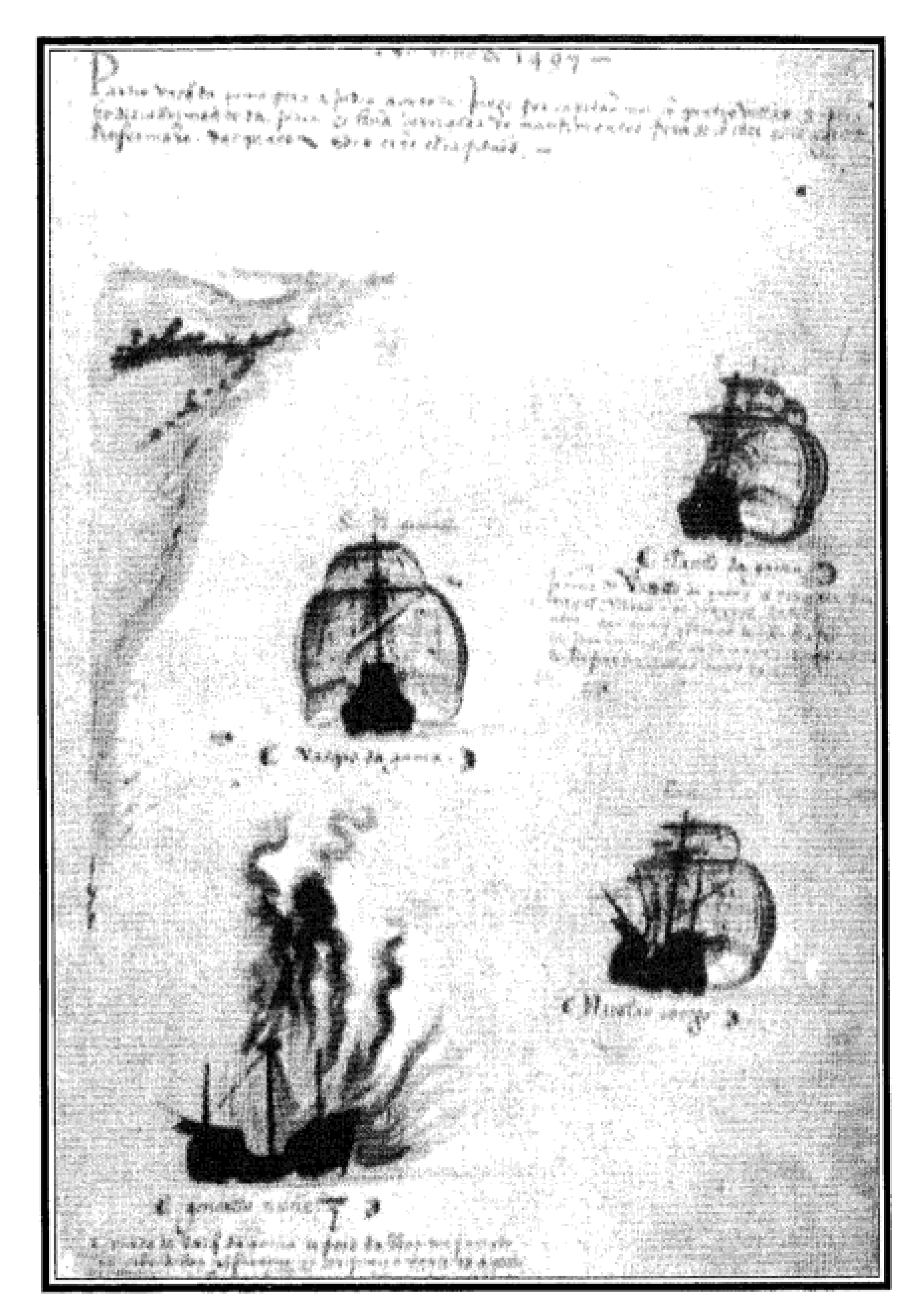


أسطول بيدرو الفاريز كبرال والذي توجه الى الهند في 9 مارس 1500م وجاء معه دوارتي بربروسا

هرمز والخليج (ويذكر بيدرو الفاريز ان الملاحظات المدونة عن الخليج كانت ملاحظات شخصية منه) ومن الخليج اتجه الى جوا فى الهند وبعدها الى خليج كامبى او كامبايا. ان السرد السابق للمناطق الواقعة بين لشبونه والهند يكاد يطابق ما قام بتدوينه بربروسا بنفسه ولذا نعتقد ان رحلته كانت مع الاسطول الاول.. ونستطيع ان نؤكد ذلك خاصة اذا علمنا ان الاسطول الثانى بقيادة جوا. دا. نوفا توقف فى موزمبيق ـ وكيلوه وملندى فقط ومنها عبر الى البحر العربى ثم الى جنوب الهند متوقفا فى جزيرة القديسة ماريا القريبة من باتيكالا.

لذا نستطيع ان ندرك الآن بأن دوارتى بربروسا بقى مع عمه فى كوشين. ولكن يخالف ذلك قول (كوريا) عندما يدون قائلا: «فى سفينة القائد العام ذهب الفارو. دا. براجا معتمدا تجاريا من سفاله ودييجو بربروسا الكاتب واثنان وعشرون رجلا آخرين» ونعتقد ان الفارو. دا. براجا المذكور هو الفارو. دى. براجنكا ولكن يبدو أن ما قام بتدوينه باروس يعتبر اكثر ثقة للدارسين فى هذا المجال.

فى عام 1502 احضر فاسكو ديجاما (وهو فى طريقه الى الهند فى رحلته الثانية) معه دييجو كوريا وعين وكيلا تجاريا فى كوشين.. ونقل كونجالو. جل. بربروسا الى الوكالة فى كنانور والتى كانت اضخم وكالة تجارية ملكية آنذاك وقد اكد ذلك دى. باروس. وكوريا والذى يذكر اسم كونجالو. جل فى مذكراته احيانا باسم جل فرنانديس ولكنه عاد الى المسمى الاصلى فى عام 1505.



أسطول فاسكو ديجاما الأول (8 يوليو 1497م) وتبدو النار مشتعلة في سفينة المؤونة

ب) مقدرة بربروسا على استخدام اللغة الاجنبية:

يذكر كوريا انه فى عـام 1502 (واثناء توليه وظيفة الوكـيل التجاري فى كانانور) «ان جل فرنانديس هـذا له ابن اخ يسمى دوارتي بربروسا وكان معه فى كوشين وتعلم لغة اهل ملبـار (الماليلام) وكان يتحدث بها احسن مـن الناطقين بها من اهل البـلاد» ولذا نستطيع الآن ان نـؤكد ان دوارتي بربروسا كان مع عمه فى كـوشين قبل انتقاله الى كانانور وانه قد جاء الى كوشين مع اسطول كبرال فى 1500م.

وكـان موقع كـانانور ضـمن المناطق الناطقـة بالماليلام ولذا نجـد ان دوارتي بربروسا استطاع ان يتعلم هذه اللغة فيها وفي كوشين.

ولكن علينا ان ندرك بأن المؤرخ كـوريا جاء الى الهند فـى 1512 وبعد ان ذاعت سـمعـة دوارتي بربروسـا وتم الاعتـراف به كمـتـحدث للغـة المذكورة ونابغة فيها اذا ما قورن بأهل البرتغال فى الهند آنذاك.

فى 1503 وصل اسطول د. فـرنسيـسكو د. البوكـيرك الى كـانانور وقام دوارتي بـربروسا بالتـرجمة الـلازمة عندمـا زار البوكيـرك ملك كانانور.

لقد اعترف به كوريا فى مخطوطه بأنه لم يكن متمكنا من اللغة المحلية فحسب بل كـان مؤرخا ومدونا لاحداث بلدان الشـرق واهلها ولذا نجده يقـول فى مـخطوطه «لا اريد ان ادخل فـى وصف البلدان والناس فـقـد سبقنى الآخرون الى ذلك وكـان اشهرهم دوارتي بربروسا (ابن اخ جل فرنانديس بربروسا) والذى كتب عن الارض والبلدان والناس والعادات والتقاليد والقوانين وغطى مناطق شاسعة حتى رأس الرجاء الصالح».

ان ما ذكـره كوريا يؤكـد لنا ان العمل التـاريخي الذى نتناوله الآن هو فعـلا من اعمـال بربروسـا وينفى عنه اية تهمـة فى هذا الصدد ويـذكر كوريـا فى مكان آخر: «انى قـد اخذت من هذه المهـمة لرغـبة فى نفـسي وليس حبـا فى الشـهرة او المال ولكننى لن اكتب عن الارض والنـاس فقد سبـقنى الآخرون وقـد رأيت وقرأت مـا دون من قبل هؤلاء النـاس مثل كتاب دوارتى بربروسا كاتب مركز كانانور، لذا سوف أكتب عن الاعمال الحربيـة البرتغـالية فى هذه المناطق وفى عـموم الهند ســواء كانت هذه الاعمال كبيرة او صغيرة».

لذا نرجو بعد ذلك ملاحظة مقدمة اللورد سـتانلى والتى اعتقد فيها ان دوارتى بربروسا كتـب عن مركز كانانور التجـاري وليس كونه الكاتب لهذا المركز.

ج) اما الدليل الثـالث على علاقة هذا الكتـاب بـدوارتى بربروسا فهي رسالة كتبها الى ملك البرتغال فى عام 1513م:

ولم تترجم هذه الرسـالة من قبل وسوف نقوم بتـرجمتهـا لكى تؤكد دور بربروسا فى كتابة هذا المخطوط.

كتب بـربروسا الى الملك د. مـانويل الاول ملك البرتغـال فى 12 يناير 1513 (وكان بربروسا آنذاك كاتبا فى محطة كانانور التجارية) قائلا:

«مولاي:

الى جانب مـسئـوليتى فى هذا المكتب، والتى تشـرفت بقبولـها بلطف وعون منـكم، اجد نفسي تـواقا للحديـث بكل صراحة عن الامـور التى تخص سعادتكم بالذات. والتى ان لم اكتب لكم عنـها سوف يعاقبنى الله على ذلك.



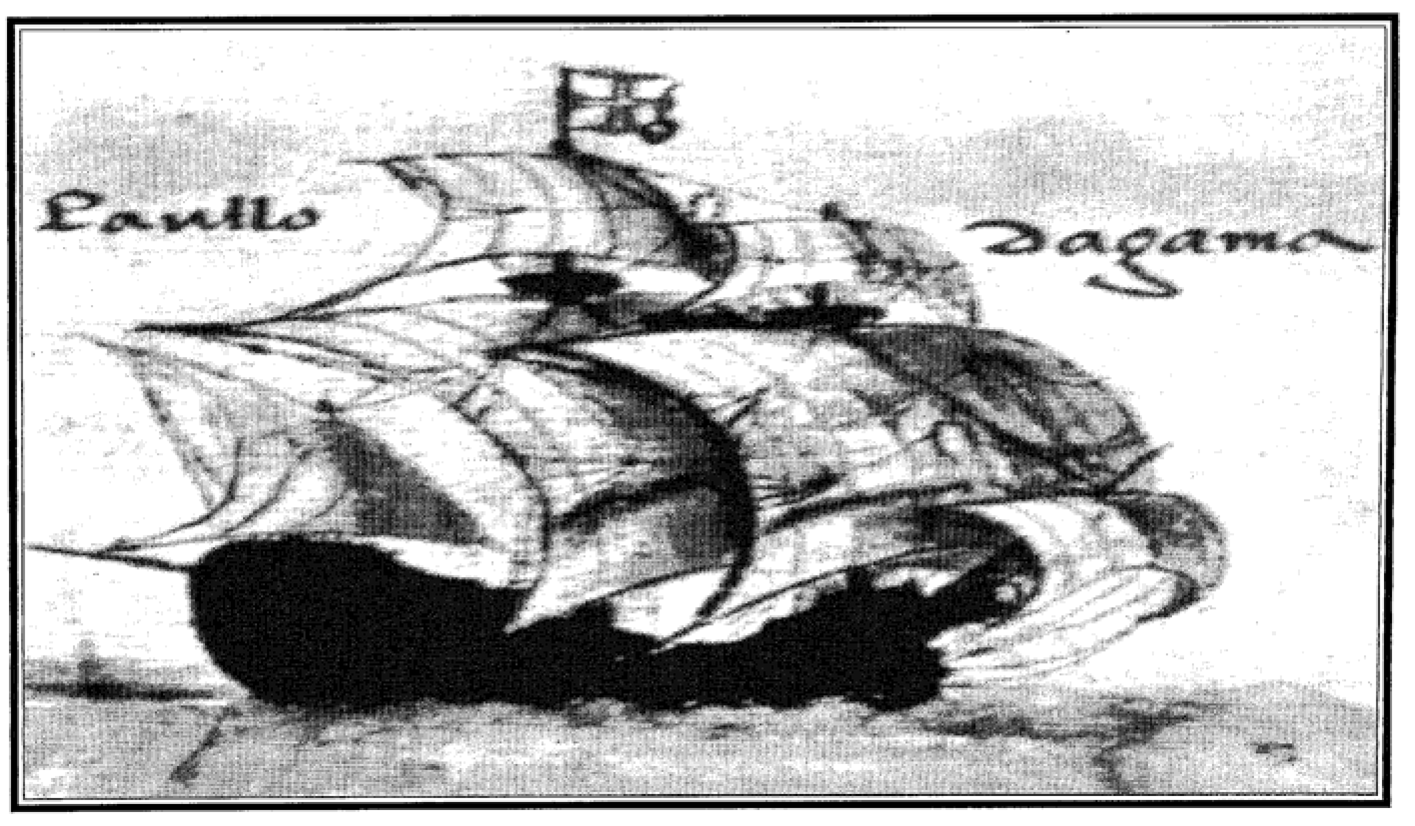
الملك مانويل الأول ملك البرتغال

انني اعلم جـيدا ما يدور هنا مـن احاديث واحداث وذلك لمقـدرتي على التحـدث باللغة المحليـة ومراقـبتى القريـبة للأمور، انني اراقب تـطبيق القوانين والاتفاق الذى قرره لنا القائد البـحرى «فاسكو ديجاما» وطالب كل القادة هنا من اتباعه بكل حذافيـره وابداء الطاعة لكم وخدمة سموكم واظهار المعاملة الطيبة لاهل البلاد والمحافظة على الامن والسلام معهم.. ولكن اجد يا مولاى ان هناك مخـالفات لكل هذا احيانا وانه يقين منى بأن سفراءك سوف ينقلون لك المعلومـات اللازمة عن ذلك اضافة الى رسائل ملك كانانور اليك.

وصلت الى هذا المكان فى اغسطس عام 1511 مع د. ايرس ديجاما (أخ فاسكو ديجـاما) وكان القائد العـام آنذاك فى ملقا وقد جعل من ديـيجو كـوريا قائدا للقلعـة هنا والذى تسـبب (لسوء مـعـاملته للناس وظلمـه وطغيانه) الى انتفاضة اهلية ضده وخاصة عندما فرق بين الناس وانحاز لولاية ضد اخرى وقاوم الحاكم المحلى.

اننى ابلغكم يا مـولاى بان تجارة قليقـوط (كلكوت) قد فقـدت بسبب تعيـينه (خوجه بجـواى) وعدم اعتـماده على خـدامكم يا مولاى والذى يجب عليهم خدمته مثل ما هو خادم لكم.

اننى لا اود الاستطراد عن دييجو كوريا واعمـاله السيئة فقد ذهب الى حيث اراد الرب (قتل دييجـو كوريا فى سبتمبر 1612 فى مـعركة قرب جوا) لقد زارنا جـونزالو منديز وبيدرو هومم وكانا هنا بشأن التـحقيق فى بعض الامور التـى تهم سموكم ورغـبة فى ابقاء السـلام بيننا وبين هذه الشـعوب، ولكنه منعـهمـا من الحديث مع الناس فى كـانانور واثار



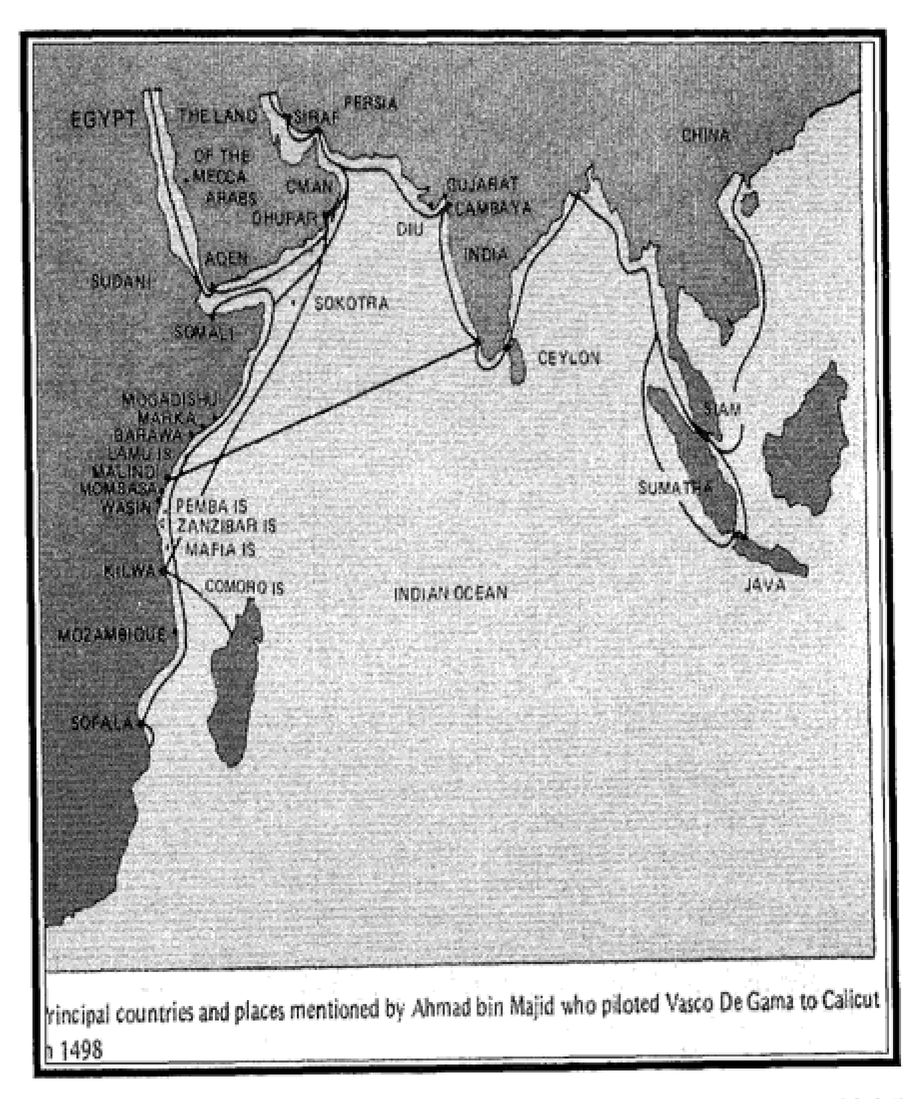
سفينة باولو ديجاما (اخ فاسكو ديجاما والذي توفى في طريق العودة إلى البرتغال)

شكوك فاسكو ديجاما فيهما وفى تصرفاتهما وادى بكذبه الى حقد ملك المنطقة والحاكم والناس عليهما. لذا اطلب من سموكم ان تسألوا جو. سيراتو عن هذه الامور حيث انى اجد انها لا نهاية لها.

لقد وصلت الامور مع الملك هنا الى حالة كادت تؤدى الى قطع العلاقات مع القائد العام (فاسكو ديجاما) وذلك بسبب اضطهاد الوالي ورفض القائد دفع مبالغ مستحقة مقابل مجموعة من الخيول اشتراها من الملك وارغم وزيره على دفع ثمن البعض منها مهددا اياه بالسجن اذا رفض ذلك. انا اعلم كل ذلك لانني كنت مع الملك طيلة اليوم واخبرته بأن يوجه شكواه الى جلالتكم.. فأخبرني يا مولاى الملك بانه لا يرغب فى اى شيء لا سلام ولا تجارة ولا علاقة انه يريدنا ان ندعه وشأنه فقط وانه ربما يغادر الساحل الى الداخل ويرجع للارض كمصدر للرزق، بعد ان اخذنا منه كل شيء وآذيناه فى ملكه.

واستطعت بعد محاولات يائسة فى اقناعه بالتخلي عن قراره حتى انقل لجلالتكم هذه المعلومات ولذا قرر ان يرسل لكم بعض المجوهرات والرسائل بيد جو. سيراتو.

فى هذا العام كان محصول هذا المركز التجاري اربعة آلاف قنطار من الزنجبيل وذلك بضمان من الملك نفسه واننا ابتدأنا فى دفع المبالغ المستحقة بالتدريج. وفى اعتقادى بأننا لو استطعنا تبادل البضائع مقابل الزنجبيل فإننا ربما نكون قد حصلنا على ستة او سبعة آلاف قنطار منه. ولاننا لم نتمكن من التبادل التجاري فقد اشترينا هذا العام القنطار (بمائة فضية البحر) وقد اشتريناه فى العام الماضى بمبلغ مائة



rincipal countries and places mentioned by Ahmad bin Majid who piloted Vasco De Gama to Calicut
n 1498

الخط الملاحي الذي اتبعه اسد البحار احمد بن ماجد من ملندي الى جنوب الهند مرافقا اسطول فاسكو ديجاما في عام 1498م

وعشـرين فضيـة البحـر وقد اخبـرونا بأنهم سوف يطالبـون فى العام القادم الدفع المبـاشر اما بالنقود او البضـائع المتبادلة مقـابل ستة آلاف قنطار واننا فى هذه الحـالة الاخيرة سـوف نتمكن من دفع مـبلغ ثمانين فضية البحر مقابل القنطار الواحد.

لقد اسـتطاع جورج. دى. مـيلو كسب ود التـجار المحليين واقنـاعهم بالتعـامل معنا وبالفعل ازداد عدد زائريـنا فى القلعة بعد مقـاطعة دامت سنتين وكان هذا نتيجة غرسكم الصالح وجهودكم يا صاحب الجلالة.

(وصل جورج. د. ميلو. بيريرا الى القلعة فى 30 اغسطس 1512).

نتوسل منك يا مولاى ان تحمل السفن القادمة من طرفكم لنا البضائع حيث ان اغلبها تتوجه الى كوشين ولا تترك لنا اى شىء. ولا حتى يوافق بحارتها فى البقاء هنا عدة ايام.

لقد ادى عدم توقف سفن جلالتكم فـى هذه المحطة الى انتقال التجارة من قليـقوط (كـلكوت) الى مكة وعدن عـن طريق السفن الـعربيـة التى جاءت الى هنا اربع منها هذا العام واثنتا عشرة سفينة فى السنة الماضية ولدي اخبار ان عدداً كبيراً سوف يصل الى طرفنا فى الاشهر القادمة.

اطلب من الله ان يصلح الامـور ان لم تتـمكن يا مولاى من اصـلاحهـا بنفسك وان نضـع نهاية لهذه التجارة (التوابل الى المناطق العربية) لاننى لا اعرف كيف تسمح لكل ما تحتويه مخازن جوا لان يكون سلعة تنهبها العصـابات رغم وجود سبعـمائة او ثمانمائة رجل هناك وخـمس سفن كبيـرة وعدد لا بأس به من السفن الصغـيرة ومبالغ جمـة تدفع للرجال لمنعهم من التحول عن عقيدتهم يصعب الحصول عليها يتم اهدارها دون فائدة.

هناك جمع فاسكو ديجاما كل المواد والرجال وتناسى المراكز التجارية الاخرى والتى توجد بها البضائع الهامة للبرتغال والتى كانت الهدف الرئيسى وراء اكتشاف طريق الهند.

انه يبذر النقود هناك بينما ينتظر البرتغاليون هنا رواتبهم غير المدفوعة من مدة طويلة.. ويقوم الخواجة بيك هنا بالمقايضة واعطائنا الاكل مقابل التقليل من قيمة عملتنا الكرزادوس.

لقد أُرسل الى طرف جلالتكم شخص يدعي انه سفير من ارض الحبشة وعند وصوله الى طرفنا بُلغنا بواسطة الحاكم فى جوا بان نستقبله احسن استقبال وان نعامله بكل حفاوة واحترام ويدعي هذا الشخص بأنه قد احضر معه خشباً من صليب المسيح وترافق هذا الشخص سيدة من الحبشة وغلام واخبرنا ان زوجته ابنة احد الزعماء الكبار هناك وان الغلام قريب للملك وانه هو اكبر سفير لدى الملك.

لقد اعترفت الامرأة لنا بأنه مسلم من مصر (القاهرة) ويقوم بالتجسس علينا وقد خطفها واشترى الغلام فى الطريق. اننى اكاد اصدق ما تدعيه الامرأة فإن الاحباش سود البشرة ويوجد وشم على جباههم، اما هذا الرجل فإنه ابيض البشرة ولا يتحدث الحبشية ـ لقد طلبت المرأة طرد هذا المسلم الكاذب من القلعة وارساله الى طرفكم بواسطة القائد جورج ـ ديميلو.

لقد رافقنى الى كانانور موظف جلالتكم المعين لمنصب الكاتب الاول، هذا المنصب الذى اصبح شاغرا بعد وفاة جوام. د. أفيلا وقد اخذ دوارتى مكانه الآن واصبح مسئولا عن السفن اما بيدرو ميم فإنه يشغل منصب الوكيل.

لقد فـرح القائد العـام بتعـيين دوارتى فى منصب الكاتب الاول ويبلغ ايراده الكلى سبعين الفا من الريز (عملة متداولة آنذاك) ومسئوليته تجاه الزنجبـيل والاعشـاب. وانا ومع كل جهـدى وعملى المخلص ومـقدرتى اللغوية يبقى دخلى خمسين الفـا فقط واننى اقبل يدك الكريمة يا صاحب السمو واطلب ان تـتاح لى الفرصة لشغل منصـب الكاتب الاول وخاصة ان دوارتى فرز قد عين فى مركز المتوفى جوام. دافيلا».

كتب فى كانانور

الثانى عشر من شهر يناير

1513

دوارتى بربروسا



فاسكو ديجاما (نائب الملك مانويل في الهند)



فرانسيسكو د. الميدا نائب الملك الثاني في الهند بعد فاسكو ديجاما

من الرسـالة السابقـة تبدو لنـا عدة نقـاط جلية الآن، الاولى منهـا ان دوارتي بربروسـا كـان يتـمنى ان ينال منصـب الكاتب الاول او رئيس الكتـاب ولكنه لم يعين فيـه. ويطلب من الملك ان يعطيـه حقه ويعـينه فى المنصب المطلوب وخاصة انه له مقدرة فائقة فى اللغة ومعرفة الناس.

اما الثانية فهى شكواه من سوء ادارة دييجو كوريا عندما تركه فاسكو ديجاما مشـرفا ومديرا فى كانانور اثناء غياب الاخـير فى ملقا. هذا الى جانب مقابلته مع ملك كـانانور (اوراجا كانانور) والجهد الذى بذله لمنع الملك من مقاطعة البرتغاليين.

د) علاقته مع البوكيرك:

يبدو ان دوارتى كان مـعارضا او عضـوا فى الحلف المعارض لتطوير جوا على حـساب مستـوطنات برتغالية سـابقة مثل كـوشين وكانانور وخاصة الحال الذى وصلت اليه كانانور بعد ان تم تطوير الميناء الجنوبى - ويبدو ان عدم ترقية بربروسا كان نتيجة عدم اتفاقه مع البوكيرك، ولا نعتـقد انه قد حـصل على الترقيـة التى كان يطالب بها لان كـوريا يذكر منصبه فى كتاباته على انه «الكاتب».

لقد حـاول البوكـيرك تنصـير ملك كـوشين وكان دوارتى بربـروسا احسن مـترجم يمكن الاعتمـاد عليه فى ذلك، وذلك بعد توجـيه من الملك مانويل بنفسه.

ومع فشل المحاولة المذكورة يدون البوكـيرك احداثها فى رسالته رقم 100 الى الملك دوم مانويل الاول المؤرخة فى 20 ديسـمبر 1514 والتى كانت آخـر رسالة له من الهند قبل مـغادرتها الى هرمز (فى 21 فـبراير 1515).



الفونسو البوكيرك نائب الملك في الهند بعد ديجاما وفرنسيسكو الميدا

لقـد اعتـقـد الملك مانويـل بأنه سوف يكون تحـول ملك كـوشـين الى النصرانيـة امرأ سهلاً وخـاصـة اذا علمنا ما قدمـته له القوى البرتـغـالية هناك وفضلها فى ابقائه فى سلطته.

لقـد كـان الفضل علـى كل حال فى هذه المحـاولة للمـتـرجم دوارتى بربروسا.

ويذكر البوكيرك هذه الحادثة قائلا:

«لقـد تحدثت الى ملك كـوشـين عن اعتناقـه الديانة المسـيحـية وكـما اوصيـتم.. لقد كـان دوارتى بربروسا المتـرجم لهذه المحادثـة ورافقنى بيـرو- د. البويم وحـاولت بقدر اسـتطاعـتى فى اقناع الملك وان لم يكن اسلوبي فى الاقناع مثل اسلوب جارسيا مونيـز والذى استطاع التبشير فى وسط الوثنيين الا اننى قد استخدمت من الامثلة المقنعة واخبرت الملك عن رغبتك ودعوتك لخلاصه فى الآخرة.

اجابنى الملك بانه قـد سبق وان استلم منكم الكثيـر من النصائح ولكن ما تطلبونه الآن امر جديد فقدمت لـه رسائلكم وسألته عن ما اذا كان قرأ الاخرى والتى وصلتـه هذا العام، فأجـاب بالنفى واخبـرنى ان الله جعل هذا الجزء من اراضـى ملبار على سفـح الجبال وانه اى الملك يود ان يبقى الناس على اعتقادهم وعاداتهم».

ويعرض البوكيرك مناقشـته الحادة مع الملك ويسجل اجوبة الملك بكل تفصيل، فيـخبره الملك بأنه حتى ولو تحول الى المسيـحية فإن الناس لن تقبل ذلك منـه فأخبـره البوكيـرك بأن وجوده على كرسـي المملكة كان بفضل البرتغال واكد الملك هذه الحقيقة وطلب مهلة للتفكير فى هذا الامر الهام.

ويستطرد البوكيرك قائلا ان الملك قد اهانه الصلح مع كليكوت وانه (اى الملك) خائف من عدوه ملك كليكوت.

طلب البوكيرك من الملك ان ينشيء الامير «ابنه وولي عهده» نشأة مسيحية فاجاب الملك بأنه سوف يفكر فى الامر. ويبدو ان هذه المناقشة انتهت دون الوصول الى اتفاق الا ان دوارتى بربروسا كان اكثر الحاضرين فطنة فى ما قد يسببه تحول راجا هندوسى الى المذهب المسيحي. استخدم بربروسا كوسيط للبوكيرك مرة اخرى عندما ارسله مشرفا على بناء سفينتين كبيرتين فى قليقوط (كليكوت) تعهد بهما التجار هناك مقابل مقايضة تجارية مع البوكيرك الذى كان ينوى استخدامهما للابحار فى البحر الاحمر بعد وصوله الى هرمز.

لم يتحقق للبوكيرك ما أراد فقد انتهت هذه السفن بعد وفاته الى خليفته لوبو ـ سوارز ـ د. البرجاريا والذى انتهت فى عهده هذه السفن الى نهاية سيئة.

ورغم عدم استلام البوكيرك للسفن المذكورة لكنه بقي مهتما بها فقد كتب من هرمز فى اغسطس 1515 الى دوارتى بربروسا يسأله عنها، ونستطيع ان نجزم بأن بربروسا رافق هذه السفن الى الشرق، فقد ذكر انه كان حاضرا معركة زيلع فى اغسطس 1516 مع ان دى. باروس وكوريا يذكران المعركة فى سنة تالية اى 1517 ـ ربما اذاً كان بربروسا قد سمع بهذه الاخبار عند وصوله الى هرمز ذلك العام وهو فى طريق العودة.



العرب والمسلمون في قليقوط يهاجمون أسطول كبرال ويدافعون عن المدينة ضد البرتغاليين

هـ) تاريخ العودة الى البرتغال:

نعتقد ان بربروسا عاد الى البرتغال بعد ذلك او على الاقل كان فى البرتغال فى الفترة ما بين 1517 ـ 1518 ومع ان الطبعتين الايطالية والاسبانية قد تم تأريخهما فى عام 1516 الا ان التاريخ الصحيح هو التاريخ السابق وان ما ذكر فى الطبعة التى لدينا عن سقوط «بربره» على ايدي انتونيو سالدانها فى 1518 ما هو الا اضافة لمخطوط سابق فى لشبونة تركه بربروسا قبل مغادرته البرتغال لزيارة والده فى سافيل في عام 1518 او 1519 ويبدو ان عدم حصول بربروسا على الوظيفة التى كان يتمناها كان هو الدافع الرئيسى وراء مغادرته البرتغال والتوجه الى الجنوب الاسبانى للالتحاق بمجموعة من الرجال اصابهم الاحباط مثله.

كان هذا التجمع فى العاصمة الجنوبية لاسبانيا وكان يرأسه فيرانو. دى. ماجليس زوج بياتريس بربروسا ابنة دييجو واخت دوارتى بربروسا.

ولقد كان سبب الانتقال الى هذا الجزء من اسبانيا هو انه عند عودة دييجو بربروسا من الهند فى عام 1502 التحق بسيده دوم الفارو. دى. بارجانكا والذى قرر النفي الاختيارى فى سافيل واصبح بعدها شريف العاصمة.. وعين دييجو بربروسا حاكما لقلعة سافيل.

ومن كل ذلك يبدو بأنه كانت هناك علاقة قديمة بين عائلتى بربروسا وماجليس وازدادت قوة بزواج ماجليس بأخت دوارتى.

التحق دوارتى بربروسا بسفن ماجليس فى مشروعه الكبير واتجهت هذه السفن الى سان لوكار فى برمودا فى 20 سبتمبر 1519.

ولقد كانت سفينة قيادة الاسطول (سانتياجو) هى السفينة التى ابحر فيها بربروســا وكان قائدها (جو. سيراتو) صــديقا قديماً من ايام الهند وهو الذى حمل رســالته المذكــورة سابقا الى الملك ومــعهــا سفيــر راجا كانانور لمقابلة ملك البرتغال.

لعلنا ندرك الآن بأن عــدم الرضــى كــان الدافع وراء التــحــاق دوارتى بربروسا بسفينة زوج اخته المحب للجغرافيا ودراسة علوم الأجناس.

ولقد كانت اسفار ماجليس حــافزا لبربروسا فى بدء رحلات مماثلة لا ندرى الى اى مكان انتهت به في الشرق.

لقد كان حب بربروسا لجمع المعلومات واضافتها الى موسوعته سببا لمعاقــبته عدة مرات اثــناء هذه الرحلة لذا نجد انه قد تم اعتــقاله بواسطة القائد العام عــندما شارك احد مواطنى ســانتالوسيا فى جــمع معلومات اكثر عنها، ومرة اخرى فى سيبو عندما تغيب عن سفينته مدة ثلاثة ايام مــخالفــا اوامــر قائد الاسطــول ومع ذلك نجد انه كــان العــون المطلوب لماجليس عندمــا ثار البــحــارة فى ميــناء دى. ساو. جــوليــاو فى ابريل 1520.

فى هذه الحادثة اخذ السفينة فيكتــوريا من ترينيداد بعد مقتل مندوزا ويبدو انه اصبح قائدا بحريا بعد ذلك الى نهاية حياته.

اننا نستطيع التأكــيد الآن على ان بربروسا قد تحول الى حيــاة البحر من كتــابات دي. باروس بتدوينه عن مــراسلات بين مــاجليس والفلكى اندرياس دى. سام مارتيم. والتى يقول فيها «اليك يا دوارتى بربروسا» قبطان السفينة فيكتوريا والربابنة وكل العاملين عليها.



دييجو لوبيز د. سيكويرا قائد أسطول البرتغال الى ملقا ورافقه ماجلان في هذا الأسطول

ويضـيف دى باروس قائلا «بعـد ان تركت السـفينة سـانت انتونيـو ماجليس لم يبق له رفيق غير دوارتي بربروسا وعدد قليل من الآخرين».

لم تسجل الاحداث تلك من وجهة نظـر بربروسا لانه كما يبدو لم يكن في الطرف المناهض (مثل دي باروس) لماجليس.

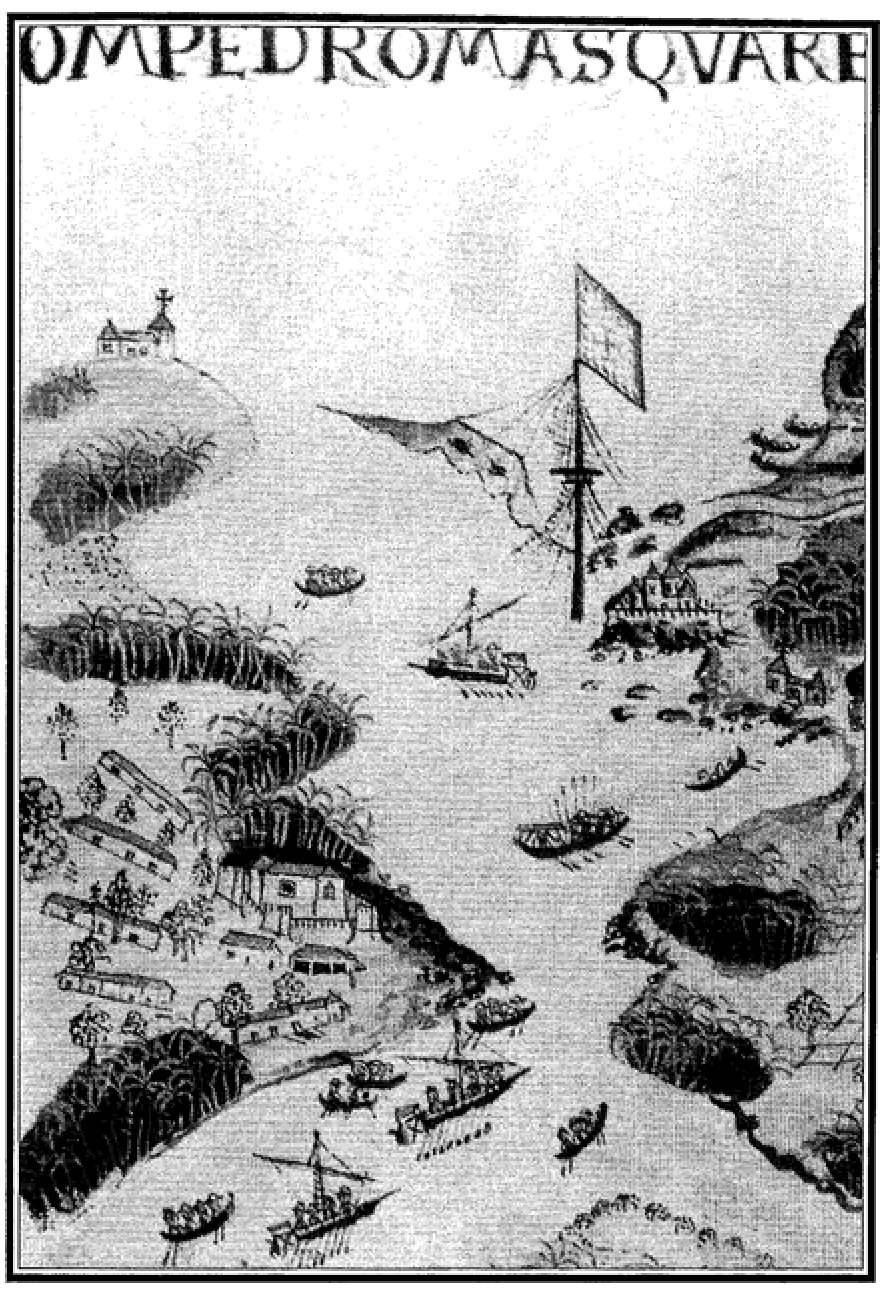
وتأتى اهمية مخطوط بـربروسا فى ما احتواه من معلومات جـغرافية واثنية وملاحظات تاريخـية تبقى هامة رغم ادعـائه بأنه ليس مؤرخاً بل مراقباً ومدوناً لكل شيء شاهده او سمع عنه.

وتأتى معلوماته عن احتلال جوا فى مقدمة التاريخ المدون لهذا الحدث ويكاد يكون الوحـيد الذى قام بتـسجـيله بكل دقة وامانة هـذا علما بأن تمكنه من اللغة المحلية (الماليالم) ربما كانت عاملا مساعدا كبيرا فى ذلك.

وتأتى بعض المعلومات الاخرى بنفس اهمـية تلك التى هى عن احتلال جوا، فهو يذكر ويسـجل معلوماته عن الهندوس فى جنوب وغرب الهند وعن العاصـمة الجنوبية للهندوس «فـيجايانجار» والتى اصـبحت الآن ركاماً وعن مملكة ملبار ومدينتها المشهورة قليقوط «كليكوت» وعن اهل تلك البلاد سـواء كانوا من البـراهما واللنجـايات فى عاصـمة الهندوس الجنوبية او عائلات ناير فى المدينة الثانيـة، وعاداتهم وطبائعهم كل ذلك يعتـبر أحسن دراسـة انثروبلوجـية لتلك المناطق من العـالم، الى جانب معلومات عن الرازبوت والجين والكجـرات والمسلمين فى المناطق التابعة والمحيطة لمملكة ديكان.

ان وصفـه للخليط العربى الفارسـى فى هرمز حيث حكمت البـرتغال الجزيرة من قلعتـها الشهيرة مائة عـام وعن تجارتها ومنقولاتها يعـتبر

وصفاً لا يضاهيه غير ما قدمه لنا مدون آخر هو جراسيا دى اورتا. والذى كتب مخطوطه بعد اربعين عاماً من مخطوط بربروسا وتمت ترجمته بواسطة السير كليمنت مركام الى الانجليزية ولقد استعان جراسيا رغم عدم ذكر اسم بربروسا فى مخطوطه بمعلومات من كتاب الاخير مثل ذكره لسموم دلهى، او وصفه استخدام قرن وحيد القرن لعلاج السموم او استخدام العلق لامتصاص الدم الفاسد والتى دونها جميعها بربروسا فى مخطوطه ومثل دفن الزوجة الحية مع الزوج الميت (طائفة اللنجايات فى فيجايانجار).



سفينة نائب الملك في جوا (دوم بيدرو ماسكريناس) والتي غرقت فور وصوله الى هناك



الدوم بيدرو ماسكريناس نائب الملك في الهند

معلومات عامة :

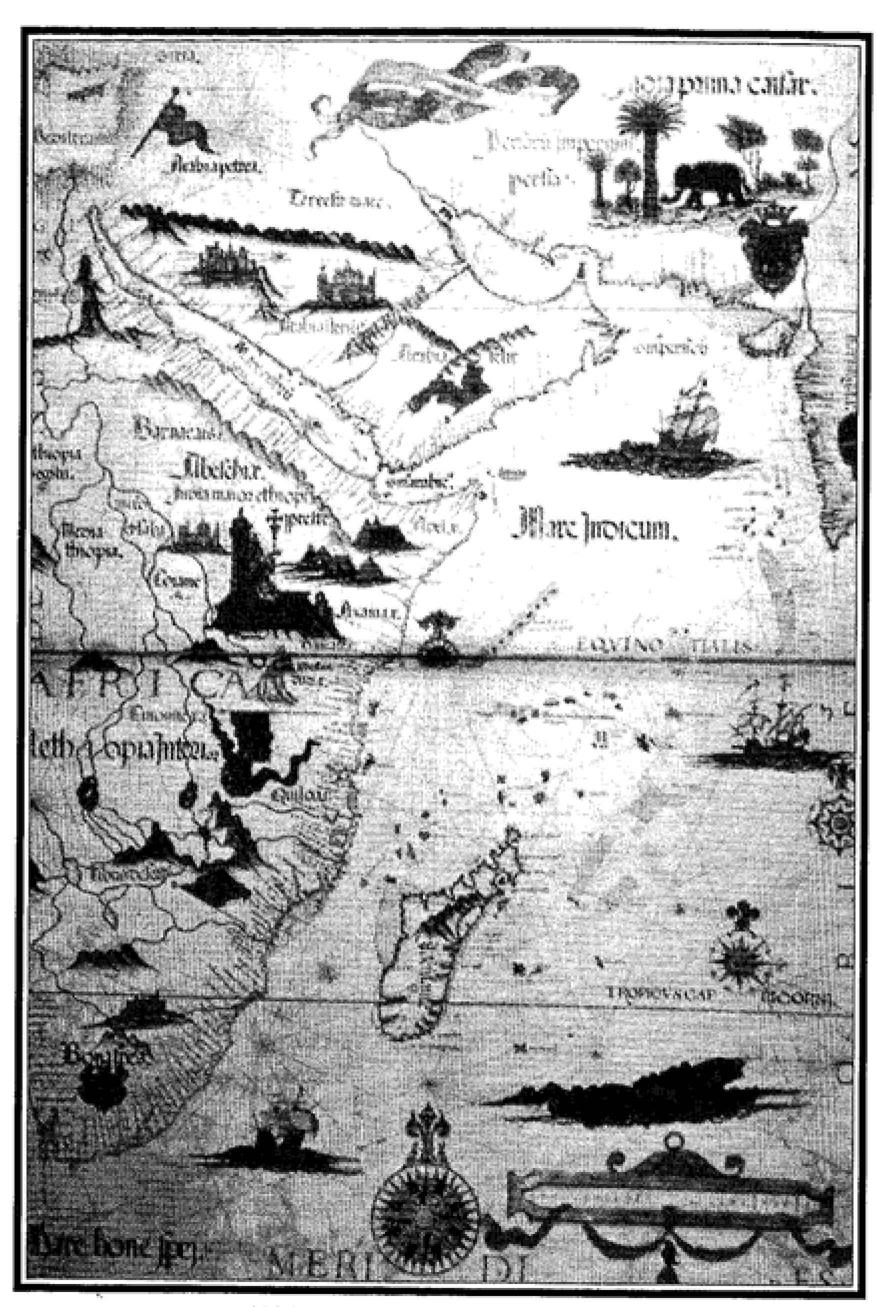
افريقيا :

نعتقد ان هذا الوصف منقول من الروايات التى سمـعها بربروسا فهو يصف البلاد المسماة بينا ماتابا والتى سميت بعد ذلك مونو ماتابا ويذكر طبائع اهلهـا الذين هم فرع من البانتـو ويصف رقصاتهم بصورة غـير دقيقة.

ويذكر (الكور) ويقـصد به ألياف جوز الهند المستـخدمة كحـبال لشد الواح السفن المستخدمة آنذاك ونعتقد ان هذا المسمى من لغة الماليالم.

ويذكر بربروسا بعض العملـيات التى تجرى للاطفال الاناث من اصل حامى ـ او سامي فى الشاطىء الجنوب غربى من البحر الاحمر والتى لا تزال تجرى الى الآن (الـختان).

وكذلك مـلاحظاته عن الـحبشـة وعن عادات اهلها وعن اجـراء طقوس التعـميد باستـخدام الدم والماء والنار ووشم الوجوه والاحتـفالات التى تقام لعذراء (القديس بارثلميـو) فى شـهر اغسطس وعن ثراء هذه البلاد فى بداية القـرن السادس عشـر، مع اختصـار فى معلومـاته عن تجارة المسلمين مـع الهند والشـرق الاقـصى، هذه التـجـارة التـى اسـتطاع البرتغـاليون ايقافـها وتحويل طريـقها الى رأس الرجـاء الصالح وقطع الطريق على الاتراك من دخول اوروبا، وفى الحقيقة منع دخول الاسلام الى اوروبا عن طريق تركيا وقيام ما يشبه حرباً صليبية ضدهم.



افريقيا والجزيرة العربية والهند عام 1500م

الجزيرة العربية:

ان عدن تعتبـر مفتاح البحر الاحـمر ولذا طلب الدوم مانويل الاول من ضباط بحريته باحتلالها.

لقد دون بربروسـا فشل حملة البـوكيرك الاولى على عدن ولقـد كان هذا التدوين بعد سنتين او ثلاث على ما نعتقد من الواقعة.

وان ما يذكـره عن حجم تجارة المنطـقة نابع من معلومـات شخصـية وعلم بمسارات الـتجارة سـواء الى شرق افريقـيا والسـاحل العربى او تجارة الهند من ديبـال وقوجرات ومملكة ديكان وملبار والبنغـال وملقا وتجارة التوابل من جزرها.

لقد ذكـر بربروسا ان المسـار التجـارى كان يأخذ مـجراه الى البـحر الاحمر ومن ثم الاسكندرية بواسطة القوافل ومنها الى سلاطين المماليك (والتى تحـولت بعـدها الى السـلاطين الاتراك) والذين يسـيطرون على حلب بؤرة التجارة القادمة من الخليج آنذاك والتى لم تتمكن البرتغال من ايقافـها مثل مـا عملت فى تجارة العـرب فى الخليج بعد الاستـيلاء على هرمز.. ومع ذلك وبمضي الوقت استطاعت تحديد حجمها الى ان وصلت الى حرمان الاتراك من أحد اهم مصادر ثرائهم.

يذكر بربروسـا تجارة السواحل الجنوب شـرقية من جـزيرة العرب ويخص بالذكر تجارة الخيول والبخور ويقارن الخيول العربية الاصيلة بالخيول الفـارسية الاقل جودة ويعلل سبب تهـافت المسلمين فى الممالك التابعـة لمملكة ديكان فى الحصـول عليهـا لاستخـدامهـا فى الحرب مع الهندوس من مملكة فـيجايانجـار وكيف سـيطر البرتغالـيون على هذه التجارة ايضا. ويخص ظفار والشحر فى تجارة الخيول والبخور.

اما عن فارس فهو يترك لنا معلومات عن هرمز أدق من معلوماته عن عدن وناتجة من ملاحظات شخصية مع اختلاط الامور والمسميات للمناطق الواقعة داخل الخليج.

ورغم عدم اكتمال كتاباته عن الدولة الصفوية الا انه يكاد يكون اول كاتب اوروبي يكتب عن ظهور المذهب الشيعي فى فارس ووصول الشاه اسماعيل الى السلطة.

ان معلوماته عن الشاه اسماعيل كانت تدويناً لروايات سمعها من سكان هرمز ومسلمى الهند والذين كان فيهم كثير من اتباع الشاه اسماعيل مثل يوسف عادل شاه مؤسس سلالة عادل شاهى فى بيجابور والذى كان شيعيا من قبائل الترك القاطنة شمال فارس (المؤيدين الاوائل للشاه اسماعيل).

اما عن اهل السنة من الاتراك فقد كانوا موالين لممالك القوجرات (الكوجرات) مثل ما كان سابقيهم من حكام مصر (المماليك) لقد كانت هذه القوى المحلية من اقوى العقبات التى واجهها البرتغاليون فى الهند.. والتى انتقلت الى الخليج عندما حاول البوكيرك عقد حلف مع فارس ضد تركيا ولكن وبسبب وفاته لم ينفذ ذلك ولم يواصل خليفته الغير الطموح السير فى المشروع ذاته.

الهند:

يصف بربروسا الهند من شمالها الى جنوبها ويخص بالوصف مملكة كوجرات ويتحدث بصورة رئيسية عن سكانها ويسمى المسلمين فيها «موروس» والهندوس «جنتيوس» ويسمى الهندوس في كجرات



البوكيرك يبادل تجارة الهند بقذائف المدافع البرتغالية (بأمر ملك البرتغال)

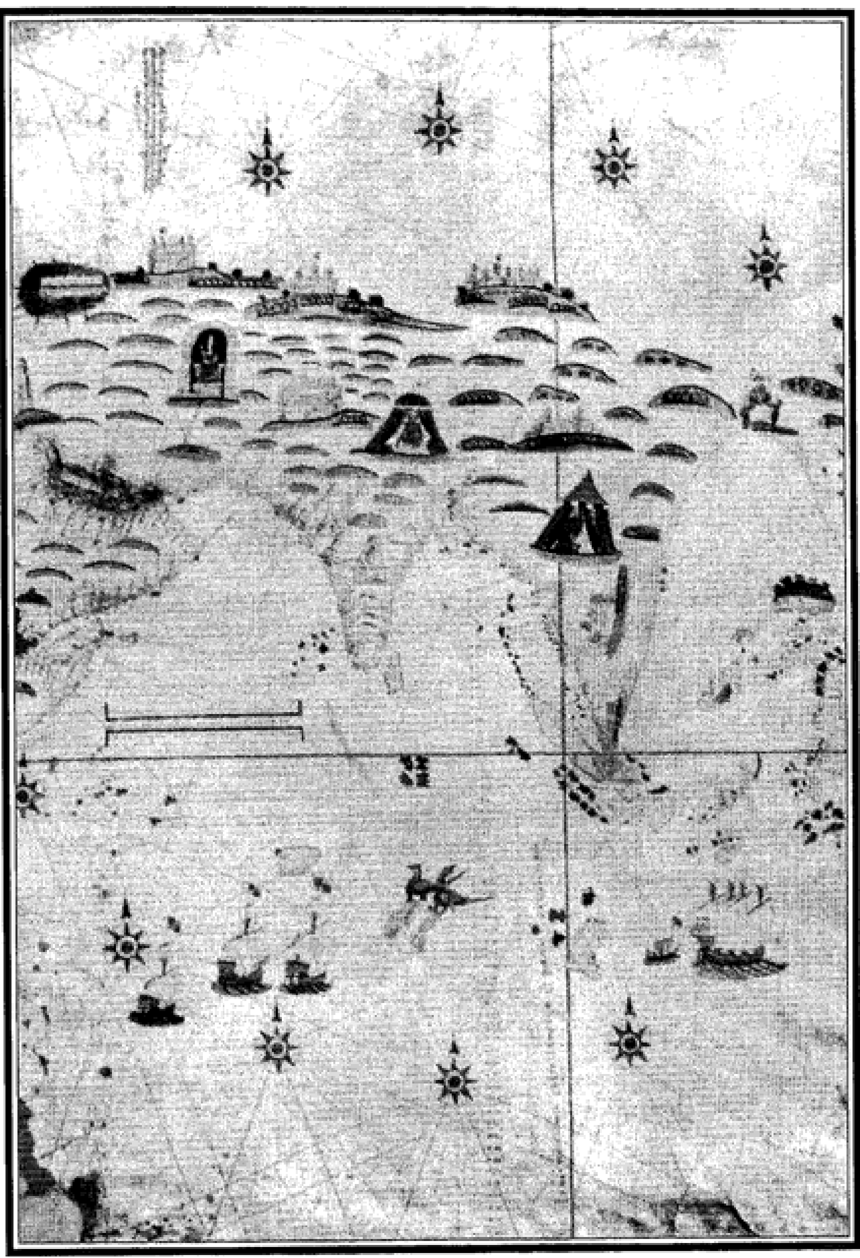
رازبوت او بانيــان وهم طائفــة البراهمــا ويصف كل فــئة وصف دقــيق متزامن مع فترة الوصف ومكانه ويدون عاداتهم وانواع ملابسـهم.

ويقول ان المسلمين مخلصين وانهم امـتداد لسلاطين دلهي وهم خليط من الهندوس الذين اعـتنقوا الاسلام او من المسلمين الدخــلاء على الهند ســواء من الفرس او عــرب الجزيرة او حــتى الاتراك والممــاليك الذين تم ارغامهم على اعتناق الدين الاسلامي والبعض منهم اوروبى فى الاصل. ويقـدم مثــالا على ذلك من قول دى. بــاروز بان ملك عيـاض وزير ملك كجـرات هو روسي احضـره الترك عندمــا كان صــغيـرا وبيع الى ملك كجرات. ويوسف عــادل شاه تركى فارسي من جيـلان وشيعي المذهب. اعتمـد حكام هذه المناطق على هذا الخليط الذى يبقى ولائه دائمــا للحاكم لعدم وجود جذور له ولكن لم يمنع ذلك من وجود المنافسة بين المسلمين والهندوس.

ويشيـر بربروسا ان بشرة المسلمين واخـتلافهـا عن بشرة الهندوس يرجع الفضل فيها الى وجود الخليط من شمال افريقيا والتداخل التركى فى كجرات وديكان.

الى جانب الصلة التى لم تنقطع بين هذه الـتجمعات المسلمــة مع مصر وتركيا مع زيارات الاســاطيل التابعة لكلتا الدولتين وبصورة مـستمرة. فى عام 1515 كان عـدد المغاربة (من اهل تونس وغرناطة فى اســبانيا) ألفا من البحارة العاملين فى اسطول سلطان مصر.

فى تلك الفترة كــان (كورت اوغالي) مقيمــا فى بنزرت والمغرب وكان هؤلاء البحارة يجدون الطريق سهلا من هناك الى مـصر والبحر الاحمر



خريطة برتغالية (1522م) لجزر ملقا

الى جانب اعداد كبيرة من جنسيات مختلفة يعملون تحت قيادات بحرية تركية.

فى البحر الاحمر على سبيل المثال كان القائد البحرى التركى والذى هاجم اسطوله شاول وديو فى 1507 و1509 وكان (مير حسين) هذا كردى الاصل.

واطلق البرتغاليون اسم (مورز) او مورش على اى مسلم مقيم فى الهند حيث انها التسمية التى اطلقت على اقرب دول الاسلام للبرتغال (المغرب العربى). ولكن مع ذلك يقوم باربروسا باعطاء مسلمى كل منطقة جذور تاريخية ويرجعها الى اصولها - ويذكر ان المسلمين فى كمبايا هم اتراك ومماليك وعرب وفرس وخراسانيين وتركمان ويقول ان معظمهم يتحدث بالعربية والتركية والكوجراتية والفارسية.

ويوجه عناية خاصة الى شخصية ملك كامبي آكل السم العادة التى انتشرت فيما بعد ويعطى وصف جميل لمدينة راندر المسلمة والتى دمرها البرتغاليون تدميراً كاملاً بعد ذلك.

مقدمة المحرر:

يعتبـر دوراتي بربروسا من اهم مؤرخي نهاية القرن الخـامس عشر وبداية القرن السـادس عشـر ـ وتأتي اهمية مـخطوطه في تاريخ الهند والنشـاط البـرتغالي فـيـها لاحـتـوائه على كل المعلومـات المطلوبة عن الكشوفـات البرتغـالية في تلك النواحـي ـ مع تدوين دقيق تدفـعه روح الملاحظة القـوية والتحـقيق النزيه في كل مـا سمع او شـاهد مع وصف للمناطق والمدن والموانى مبـتدأ من رأس القديس سـباسيتـو قرب رأس الرجاء الصالح ومنتهيا عند بلاد الليقوس؟

ولقد كان العمل الفردي والذي قام به بكل صدق وامانة وما واكبه من معرفـة جغرافية لمناطق غـريبة عن التفكير الاوروبي كان كله سـببا في طباعة مخطوطه بعد ترجمته الى الايطالية واعتباره بواسطة (راميسيو) كأول مجلد في علم الاسفار البحرية.

ومع ان الترجمـة الايطالية كانت مبنية على طبـعة غير منقحـة ومليئة بالاخطاء فان الدارسين انذاك والطلاب اعتبروها من الاعمال الكلاسيكية وخاصـة انهم اعتقدوا بان الطبعة الاصلية قد فقدت نهائيا.

ولذا كـان قرارنا ان نتـرجم النسـخة الايطاليـة الى الانجليـزية ولكن ولحسن الحظ وجدنا نسخة اصلية لمخطوط دوارتي بربروسا واعتبرها من نوادر الكتابات البرتغالية واصبحت اساسا لترجمتنا الانجليزية.

ولو طالعنا هذه النسـخة البرتغـالية فأننا سـوف نجد ان الصفـحات الاولى منها تحتوى على معلومات ليست ذات اهمية وبعدها نجد رسالة من لوبو. فاز. دى. سامبيو الى الملك دوم جوا الثاني. وبعدها مذكرات او

يوميات لاسفار نائب الملك د. كوستنيتنو ورسائل اخرى من حاكم الهند فى ذلك الوقت.

بعدها يأتى شرح مبسط لرحلة د. كوستنتينو ويليه مباشرة كتاب دوارتى بربروسا والذى يغطى الجزء الاكبر من هذا الكتاب المخطوط اما الجزء الباقى فيتكون من رسوم يدوية لحكام الهند بتسلسل زمنى ينتهى الى وقت كتابة المخطوط وسجل لكل الاساطيل التى ارسلت الى الهند بعد اسطول فاسكو ديجاما.

ولوجود نسخة برتغالية تختلف فى بعض الامور مع نسخة مترجمة الى الايطالية واخرى الى الاسبانية اصبحنا مضطرين للمقارنة بين النسخ الثلاث لكى نصل الى اتفاق عام قبل نقل المعلومة الى الانجليزية.

وصف سواحل شرق افريقيا وملبار

القرن السادس عشر

المؤلف . دوارتي بربروسا

ترجم عن نسخة اصلية (بالاسبانية)
فى مكتبة برشلونه
بواسطة هنرى . أي. ج . ستانلى

مقدمة الترجمة :

ان النسخة الاسبانية (والتى ترجمنا منها هذا الجزء) تعود الى بداية القرن الخامس عشر وتحتوى على مختصرات لا تحتوي على بدايات واضحة للجمل او حتى وضوح الاسماء الامر الذي تطلب الكثير من الجهد فى سياق الترجمة.

ان هذه النسخة تتكون من سبعة وثمانون ورقة وتشبه الكتابة فيها تلك التى كتبت فى عام 1510 وليس الاخرى التى كتبت فى 1529 او 1531 ويذكر الكاتب فيها بأنه تمت ترجمة هذا العمل عن النسخة الاصلية (البرتغالية) الى اللغة الاسبانية فى عام 1524 فى فيتوريا بواسطة مارتن سنتوريون سفير المجموعة فى جنوا وبمساعدة ديجو ريبيرو البرتغالي الفلكي واخصائي علوم البحار ورسام الخرائط للملك شارلز الخامس.

وسوف نعلم انه من هذه الترجمة الاسبانية قام ابراهام اورتيلوس برسم خرائط العالم فى انتورب عام 1570 وليس من النسخة البرتغالية.

ويعترف نور مبرك (او نور مبورغ) فى عام 1753 بأن العالم مدين للبرتغالين والاسبان فى معرفته بعلم الجغرافيا الحديثة وكذلك الى الاسماء العربية والتى نقلت الى الاوروبية بصورة تكاد تكون مطابقة للأصل العربي بعكس ماجرى بعد ذلك فى سنوات لاحقة.

ان هذا المخطط موجود فى مكتبة برشلونه تحت عنوان (رحلة الى مليار وساحل شرق افريقيا 1512).

فى الحقيقة ان هذا المخطوط ليس كتاب اسفار كما يبين العنوان ولكنه وصف البلدان وتجارتها ومصادر المياه فى موانئها ويحتوى على معلومات تاريخية هامة عن هرمز وديو واحتلال هرمز وبناء القلعة البرتغالية فى قليقوط (كليكوت) والسيطرة البرتغالية على تجارة الهند عبر البحر الاحمر الى ميناء السويس وتحطيم اسطول الهند وارتقاء الشاه اسماعيل العرش الصفوى واشاره اخيره الى الفترة التى تدور حولها الاحداث المذكورة وهي عام 1514 ـ هناك نسخة ثانية لهذا المخطوط بالاسبانية ومشابهة له فى مكتبة ميونخ وتتكون من مائة وثلاثة ورقات ـ ونسخة ثالثة تخالفها فى الخط وتتكون من ثلاثة وخمسون ورقة فقط وموجودة ايضا فى مكتبة ميونخ.

تذكر النسخة المترجمة اعمال القرصنة البرتغالية وتعطيها الشرعية الكاملة والحجة الدامغة والدافع المقبول من انزال العقاب وتدمير البلدان التى لا تقبل شروط البرتغاليين فى غياب الضمير والمعايير الانسانية وتؤكد الكتابات فيها الى ان المدن والبلدان الواقعة على سواحل افريقيا والجزيرة العربية وفارس كانت مزدهره بالتجارة والنشاط البشري قبل وصول البرتغاليين الذين دمروا الكثير منها وقضوا على اساطيلها وتجارتها.

وتعطي الاحقية للتجار العرب فى ادخالهم زراعة القطن وحياكته فى جنوب افريقيا وتلقى الضوء على الدمار الشامل الذي اصاب هذه المناطق وادى الى التخلف الاقتصادي والى الهدر المتواصل للقوى البشرية الافريقية بواسطة تجار الرقيق ونقل العبيد الى امريكا.

لقد اعيدت طباعة النسخة البرتغالية فى لشبونه فى عام 1812 ولكن لم تحتوى هذه الطبعة على المعلومات المدونة فى الترجمة الاسبانية او حتى الترجمة الايطالية السابقة ولذا نجد ان بعض المعلومات الواردة فى الطبعة الجديده فى لشبونه قد اخذت من احدى الترجمتين المذكورتين لمخطوط بربروسا والتى يذكر الناشر فى مقدمتها بأن بعض الاوراق الملحقة ربما كانت خاصة بماجلان وقد وجدت طريقها الى بلاط شارلز الخامس.

على كل حال لابد ان نعرف بأن دوارتي بربروسا ابن عم ماجلان والفارو دى مازكويتا - واستيفان جومز وجوان رود ريجوس دى كرافيلو كانوا كلهم رجالا من البرتغال قامت الحكومة الاسبانية بالحاقهم بأسطول ماجلان والذي انطلق فى 21 سبتمبر 1519 من سان لوكار فى برمودا الى البرازيل ومنطقة المضائق التي سميت بأسمه بعد ذلك وتشير النسخة الاسبانية انه فى نفس الوقت ارسل نائب (الملك فى جزر الهند) فرنسيسكو سيرانو الى ملقا وكان هذا صديقا وقريبا الى ماجلان وخلد اسمه فى لائحه العظام او قادة البحر المشهورين انذاك.

فى بداية ذلك القرن توجه دوارتى بربروسا الى ملقا وانتقل الى المناطق التابعة لها وعلى مدى ستة عشر عاما جمع معلومات هامة عنها ولكن تأخرت طباعتها الى ثلاثة قرون من الزمان.

طبعت هذه المعلومات المذكورة فى لشبونه احتوى المجلد الثانى منها على الاوراق الخاصة بدوارتى بربروسا.

وتحتوى نسخة اسبانيا «برشلونه» على معلومات عن رحلة ثلاثة من

البرتغـاليين واسبانى وخمـسة من سكان الملايو وكان قبطان السـفينة فرنسيسكو سيرانو وتذكر ان هذه الرحلة كانت فى عام 1512.

لقـد عاد مـاجـلان الى اوروبا فى عـام 1512 ولا نعـتقـد ان دوارتى بربروسا قد عـاد اليها قبل 1517 حيـث انه قد بقى ستة عشـر عاما فى المحيط الهندى ومناطقـه ولا نعتقد فى هذه الحالـة انه قد عاد الى اوروبا قبل 1515 على كل حال نجـد ان مقدمة مخطوط لشـبونه تذكره بالاسم وتؤكد مغادرته البرتغـال مع اول اسطول بقيادة جاو. دى. نوفا ولكن لا تحدد هذه المقدمة تاريخ مغادرته او عودته الى لشبونه.

ومن هذه المعلومـات المتفرقـة نستطيع ان نصـل الى استنتاج يجـعلنا نعتقد ان مـصدر نسخة ايطاليا هو نفس المصدر لنسـخة برشلونه حيث نجد انه فى كلتا الحـالتين نقلت او استنسخت نفس الاخطاء للمسـميات ذاتها مثل حجر الزركون.

ان مخطوط بربروسـا يدل على طاقة رهيبة فى جمـع المعلومات وقوة فى الملاحظة ودقة فى التدوين والفـرص التى اتيحت للكاتب لزيارة عدة مناطق من العالم والاختـلاط بأهلها والسؤال عن العادات والتـقاليد ولا نعتـقد فى اى حـال من الاحوال ان هذه المعـلومات تم جمـعهـا بواسطة الرهبان والقساوسـة الذين تنقلوا فى هذه المناطق ولكن يبقى شيء آخر وملاحظة قوية وهو اهمال ذكـر البوكيرك وجوا فى النسخـة الاسبانية الامر الذى يجعلنا نعتقد بان ذلك كان متعمدا وبدافع سياسي بحت حيث كان القـصد من رحلة مـاجلان (والذى نعتـقد انه اشـرف او شارك فى اصـدار هذا المخطوط او انه اصـدر بأمـر منه) تشـجـيع الاسـبـان فى

اكتشاف مناطق الشرق مثل ما كانت تفعله فى مناطق الغرب وان بعض المعلومات المدونة مثل اسعار الخيول ومواد التموين والفيله كلها كانت من المعلومات المطلوبة فى الحروب بينما اسعار الاحجار الكريمة والبهارات تم تدوينها بطريقة تجارية تكاد تؤكد ان هذه المعلومات المقدمة فى مخطوط برشلونه كانت بطريقة او اخرى من فعل او اشراف ماجلان.

ولذا نرجع مرة اخرى الى النسخة البرتغالية والاصلية فى هذا المخطوط والتى نستطيع ان نجزم بأنها من عمل دوارتى بربروسا بنفسه.

مقدمة :

تمت هذه الترجمة عن النسخة البرتغالية في لشبونة عام 1812م.

انا دوراتى بربروسا (مواطن من المدينة العامرة لشبونة) قد قررت ان اكتب عن المدن والناس وعاداتهم وتقاليدهم لمناطق قمت بزيارتها وانا اعمل في خدمة مولانا الملك في جزر الهند وبأسمه لعدة سنوات من عمري وقد وصفت سواحل البلدان وما جاورها ودونت ما سمعته من اخبار هامة عسى ان تكون هذه المعلومات نافعة للجميع وخاصة اننى انقل عن ما لم يقرأه او يشاهده من سبقنا من الاجداد. اننى سوف اكتب بصورة يومية عن المدن والبلدان والممالك والتى زرتها شخصيا او أخبرت عنها من مصدر ثقة. سواء كانت مدن اسلامية او هندوسية. ولقد ذكرت عن تجارة هذه المدن وانواعها وطرق نقلها ومصادرها.

هذا الى جانب الاستفسارات الشخصية والدائمة عن عادات المسلمين والمسيحيين والهندوس والوثنيين ولقد عقدت المقارنة بينها واعطيتها كل الاهتمام والذى ارجو ان يكتب الآخرون عنها بنفس الاسلوب. واتمنى ان يدرك القارىء باني لم أبخل باى شىء في سبيل الحصول على هذه المعلومات والتي قد قمت بجمعها على مستوى ادراكي وفهمي لها. لقد كان عام 1516 هو العام الذى انتهيت فيه من كتابة هذا الكتاب.

وصف للهند الشرقية والمناطق المجاورة لها في المحيط الهندي في عام 1514

منطقة رأس القديس سباستيان:

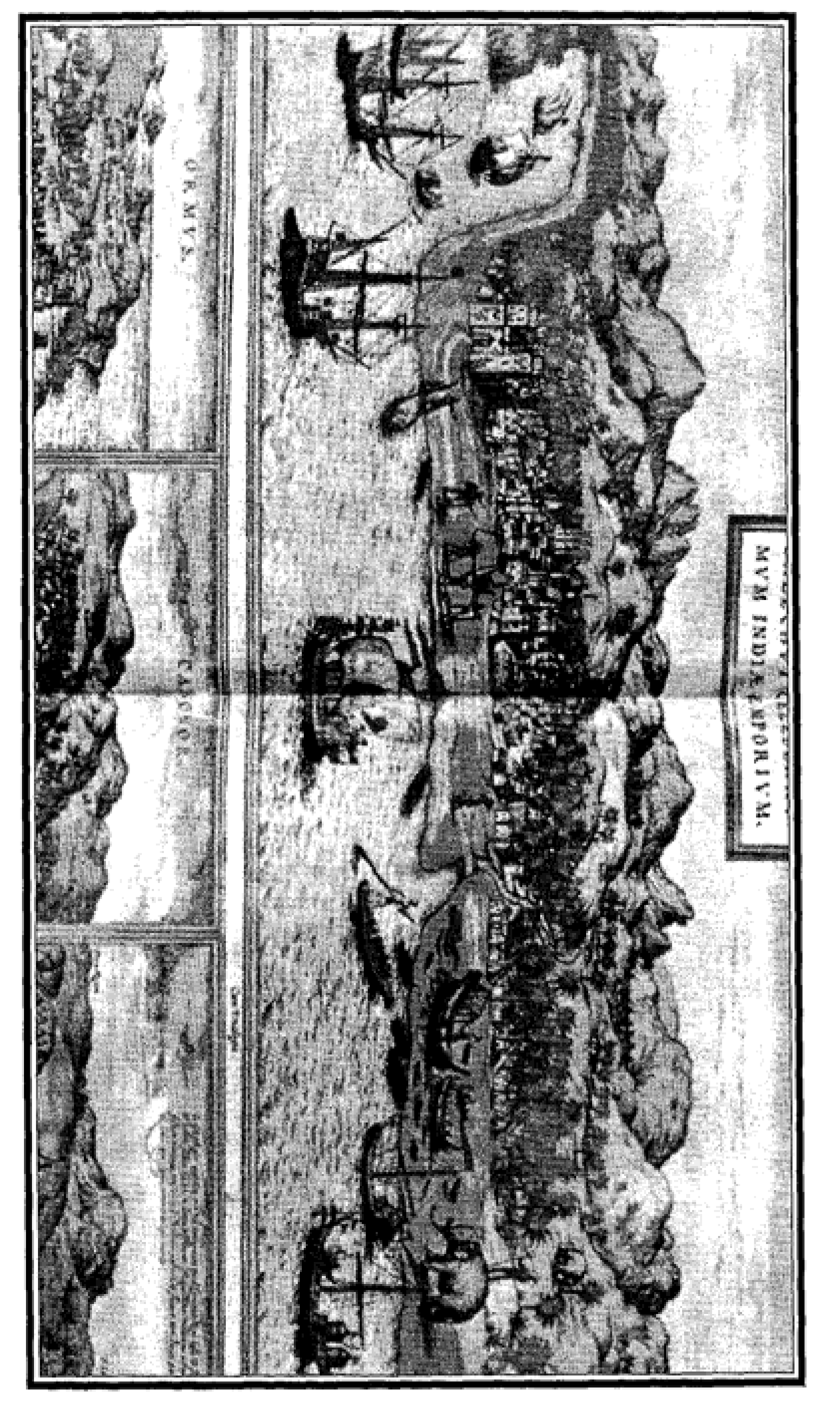
بعد عبور منطقة رأس الرجاء الصالح وفي اتجاه شمال شرقي منه وصلنا الى رأس القديس سباستيان والذى تقع فيه الحقول الواسعة والجبال والوديان وتكثر فيه الابقار والاغنام والحيوانات المتوحشة.

ان اهل هذه البلاد سود البشرة وعراه ويلبسون احيانا جلود الوعول او الحيوانات الاخرى ويخيطونها على الطريقة الفرنسية ومع ذلك لم يتمكن البرتغاليين لغاية الان من الحصول على معلومات عن داخل هذه البلاد.

لا يوجد اي مسلم على هذه الارض سواء من الجزيرة او فارس واهلها ليسوا اهل بحر ولا يركبونه ولم يصلهم احد من عرب الجزيرة او من سكان الهند او فارس واعتقد ان ذلك بسبب التيارات المائية القوية والعواصف العاتية.

جزر مملكة هرمز:

في مدخل بحر فارس توجد مجموعة من الجزر التابعة لملك هرمز وهى كيش وهندرابي وباشيل ولاراك وقارون وكوجار وطمب وفارو وفيرور جولار وميلوغان جوري وقشم والبحرين اما جزيرة قشم فهي كبيرة وبها ثمانية مدن وتحتوى على الكثير من لوازم المعيشة من نبات وحيوان. والبحرين جزيرة كبيرة ايضا وبها الكثير من المسلمين التجار المحترمين وتبعد اربعة وثلاثين فرسخا في الشمال من لاراك وعن قشم خمسين فرسخا وعن اليابسة العربية فرسخين الى اربعة والى هرمز خمسة وثلاثين فرسخا.



ملبار وهرمز وكنانور كما شاهدها بربروسا (1500م)

يعيش الكثير من التجار في جزيرة البحرين وتقع في وسط البحر وتصل اليها السفن الكثيرة والمحملة بالبضائع وتشتهر بما يحيط بها من مغاصات اللؤلؤ والتى تصطاد منها اشهر اللآلىء.

يعتمد اهل البحرين على صيد اللؤلؤ ويحصل الملك فيها القسط الخاص به من عائدات هذه التجارة. ويتجه تجار هرمز الى البحرين لشراء اللؤلؤ والمحار ويقومون بتصديره الى الهند والى اجزاء اخرى يحصلون على اسعار عالية فيها مثل مملكة نارسينجا.

هذا الى جانب الفرس وتجار الجزيرة العربية والذين يتوافدون الى البحرين لنفس الغرض.

بلاد الشيخ اسماعيل (اسماعيل الصفوي)

تقع الى سواحل فارس مدن وقرى تابعة للمسلمين العرب وتكاد تكون كلها مزدهرة وغنية وبعدها والى الداخل تتلاشى سلطة ملك هرمز وتبدو سلطات اخرى ليس لدينا معلومات كافية عنها غير سلطة الشيخ اسماعيل (الشاه اسماعيل الصفوي).

ان الشاه اسماعيل مسلم وصغير في السن وقد استطاع السيطرة على اراض من فارس والجزيرة وممالك اخرى تابعة للعرب المسلمين انه ليس ملك وليس وريث ملك ولكنه من نسل علي ابن ابي طالب ابن عم النبي محمد رسول المسلمين.

لقد كان الشاه اسماعيل من الزهاد الذين اجتمعوا على الزهد في الحياة ولبس جلود الحيوان (مثل الماعز والنمور والغزلان والفراء)

وتبدو على اجسامهم العارية جروح الكي بالحديد ويحملون معهم الفؤوس الصغيرة والسلاسل الحديدية ويتوجهون الى الحج مثل الدراويش ويعيشون على صدقات المسلمين وينالون الاحترام في كل مكان، ويحيون حلقات الذكر في القرى وبأسم النبي محمد (ﷺ). كان الشاه اسماعيل احد هؤلاء ولكنه قرر ان ينادي باسم علي ابن ابي طالب بدل محمد وتبعه الكثير من المريدين وقدموا له املاكهم ومدنهم وقراهم وتبعوه في دعوته. وقرر لبس القبعات الصوفية الحمراء وان يلبس اتباعه بالمثل ولذلك سموا باصحاب القبعات الحمر او القاز لباشى.

انتهى الحال بالشاه اسماعيل الى تكوين جيش من اتباعه اقتحم به المدن الاخرى وصادر املاك الاغنياء واعطاها للفقراء ونادى بالمساواة ولم يرغب في لقب الملك بل بالمصلح ولم يستقر في قصر او مكان خاص به.

ولكنه لم يبق اي شيء لنفسه فقد وزع ما في خزائن التجار على الفقراء تاركا للاغنياء نصيب مساوى لنصيب الفقراء والمعوزين. ولذا سمي بالمنصف او العادل.

ارسل الشاه اسماعيل سفرائه الى الملوك الاخرين طالبا منهم اتباعه ولبس القبعة الحمراء مهددا باقتحام بلادهم اذا ما هم رفضوا ذلك.

وصلت رسله الى سلطان مصر وسلطان الاتراك فرفضا دعوته وعقدا حلفا مشتركا ضده.

قرر الشاه اسماعيل محاربة السلطان التركي فخرج له في جيش جرار من المشاه والفرسان.

مملكة هرمز(1)
وتوابعها على الجزيرة العربية

بعد رأس الحد توجد مجموعة من القرى تابعة لملك هرمز والتى تمتد على الساحل حتى مدخل بحر فارس.

يمتلك ملك هرمز الكثير من المدن والقلاع وعلى الجانب العربي الكثير من الجزر والتى يسكنها العرب المسلمون ذوو الانساب العالية ويقوم بتمثيله في هذه المدن والجزر وكلاء وجامعي الضرائب له.

واول هذه المدن هى قليهات والتى تعتبر مدينة عربية اسلامية كبيرة تمتاز بيوتها بالروعة والجمال وهى مدينة غنية يسكنها التجار والنبلاء.

وبعد هذه المدينة تأتى مدينة اخرى تسمى طيبي وهى ليست كبيرة مثل قليهات ولكن تتزود من مائها العذب السفن المسافرة في ذلك الاتجاه.

وبعدها تأتي ذمار وهى ملاذ جيد وتسمى احيانا داخنية؟ بعده هذه المنطقة تقع القريات مدينة ذات تجارة رائجة وتجار كبار وبها مخازن كبرى للمواد الغذائية وتصدر منها الخيول الجيدة والاصيلة الى الهند.

بعد القريات تأتى مدينة أشم (والمقصود بها صور) وبها قلعة لملك هرمز.

بعد صور نصل الى مسقط مدينة تجارية كبيرة وبها تجار كبار وتشتهر بالسمك الكبير والصغير والذي يجفف ويملح ويصدر الى مناطق كثيرة.

وبعدها وفي اتجاه هرمز نصل الى صحار وبعدها تأتى روستاق (او

الطرساغ) مدينة غير معروفة الآن وبعدها مدينة اخرى تسمى مايل او محل وبعدها خورفكان قرية صغيرة تحيط بها البساتين اليانعة والتابعة للتجار الكبار.

بعد خورفكان نصل الى جلفار (رأس الخيمة). وبعدها عدة قرى ومن ثم مدينة اخرى (رأس الخيمة) وبعد ذلك قلعة في كلبه والتى اقامها ملك هرمز للدفاع عن بلاده.

بعد هذه البلاد تسكن مجموعات من الاعراب ولكل مجموعة شيخها.

تتعرض هذه المدن بين فترة واخرى لغزو من الاعراب المذكورين وتثور نفس المدن بين الحين والاخر ضد ملك هرمز وتعلن عصيانها.

مملكة هرمز في فارس(1)

مثل ما تتبع مناطق كثيرة من الجزيرة العربية ملك هرمز فان مناطق مماثلة تتبعه ايضا ولكن على اليابسة من ارض فارس وسواحلها.

سوف اذكر هذه المناطق كل على حدة وبعدها سوف انتقل الى هرمز الجزيرة واتحد ث عن عادات ملكها واهلها.

على ساحل فارس وباتجاه الهند تقع مدينة جميلة تابعة لملك هرمز تسمى بيغام وسكانها محترمين وبها حاكم تابع لملك هرمز وبعدها مدينة اخرى ديفشار وساقيون ونابند والتى تحصل منها هرمز على الماء العذب في سفن صغيرة تسمى (طراد) وتنقل هذه السفن الماء الى الجزيرة على التى تخلو من الماء العذب والفواكه والخضار واللحوم.

---

(1) لقد كانت مملكة هرمز عربية وكانت في هذه الفترة تحت ولاية السلطة الصفوية الجديدة في فارس وامتدت المملكة من هرمز الى حضرموت وساحل عمان ومضيق هرمز حتى جنوب الخليج.

بعد نانبد تأتى مدينة تسمى جاندا وبعدها مناطق كثيرة مثل: القطيف والعقير ولنجه وجامبرون وخرج وكنكون وابو علي والبحرين وميناب والبصرة والتى بها قلعة للصفويين وبين هذه المناطق مناطق اخرى تتبع ملك هرمز ايضا ولكن لا استطيع ذكرها جميعا لعدم توافر المعلومات لدى عنها ولكن استطيع القول ان اهلها من الناس المحترمين ومنهم الكثير من التجار.

«يبدو ان بربروسا يصف المناطق التابعة لهرمز في اتجاه فارس ولكنه يدخل معها دون علم منه المناطق الواقعة على السواحل العربية».

وقد اقام ملك هرمز القلاع والحصون على الشواطىء الفارسية من اجل الدفاع عن جزيرته وتتمتع هذه المناطق التى اقيمت فيها الحصون بوفرة الماء والغذاء ويتمتع أهالي هذه البلدان سواء كانوا نساءً او رجالاً ببياض البشرة ويرتدون الملابس القطنية او الحريرية الطويلة ويصبغون البعض منها بالوان مختلفة وعموما فان هذه الارض غنية.

ولقد ذكر المسعودي (الجغرافي العربي) المناطق المذكورة والتى تقع على السواحل من شط العرب الى مضيق هرمز كالتالي:

الدورق الفارسية، مهربان، شنينر، جنابه، نجرام، اراض ابن عماره، سواحل كرمان وقارون (واصبحت تسمى جزيرة هرمز) وساحل كرمان هو ميناء جامبرون، وكانت شنيز وجنابه تقعان بين البصرة وسيراف وقد دمر القرامطة شنيز في 321 هـ اما جنابه فهي على الساحل المقابل لجزيرة خرج ومهربان تقع شمالا لجنابه.

جزر مملكة هرمز

ان جـزيرة هرمز هى الجـزيرة الرئيسـية فـي هذه المملكة ولكن هناك مجموعة كبيرة من الجزر تتبع هذه السلطة.

اول هذه الجزر جزيرة قشم وهى جزيرة كبيرة وارضها زراعية وتمد هرمز باحتياجاتها من الخضار والفواكه.

بعـدها تأتى جـزيرة هندرابي ولار كـوجور وطمب وفـرور وبعـدها جزيرة كبيرة تسمى البحرين حيث يعيش الكثير من التجار وتصل اليها السفن التجارية ويتعامل اهلها بتجارة اللؤلؤ.

لقد اغفل بربروسا جزيرة قيس وكان هذا طبيعي جدا حيث فقدت هذه الجزيرة اهميتها في تلك الفتـرة لقد كان اهم ميناء في الخليج وفي فترة الحكم العرب لسواحل فارس هو ميناء سيراف (الطاهرية حاليا) والتى تقع على السـاحل المقـابل للجبـال وبين بوشـقر (في الشـمال غـربي) وجزيرة قيس في الجنوب الشرقى منها.

لقد كانت هذه المدينة مزدهرة في القرن السابع ومنها انطلقت البعثات التجارية الى الصـين عن طريق مسقط وبقيت مزدهرة الـى القرن الثانى عـشر م ويـذكرها السـعـودي في القـرن العـاشر م ويدون تجـارتهـا والعمليـات التجارية بينها وبين الصين ولقـد قارنها القزوينـي بشيراز واعتبرها المقدسي منافسة لبغداد.

لقد انتـهت الحيـاة التجارية فـي هذه المدينة بعد ازدهار جـزيرة قيس ولقـد ذكر ياقـوت اثارها في القرن الـثالث عـشر الميـلادي ولقد كـانت جزيرة خرج مهـمة ايضا في هذه الفترة (كمـا ذكر ذلك ياقوت) ولكن لم تكن بأهمية جزيرة قيس.

لقد كان ازدهـار جزيرة قيس في القرن الثـاني عشر الميلادي نتـيجة لجهـود اميرها ركن الدولة قمـر الدين (والذى نعتقـد انه كان تركي في الاصل) ولكن يخـالف الادريسى ذلك قائلا ان امـير قـيس يمنى الاصل ونتيجة لهجـماته على صحار تحولت تجارتها الى عـدن وامتدت اعماله الانتقامية الى بلاد الزنج وميناء كمبايا في الهند.

ولكن وكـما يؤكـد الادريسى ان ارتقـاء هرمز (علـى اليابسـة وليس الجزيرة) وانفرادها بتجارة الخليج في القـرن الثاني عشر الميلادي ادى الى اختـفاء اسم جزيرة قيس وتردى مكانـتها التجـارية في بداية القرن الرابع عشر الميلادي.

اننا لا نعـتـقد ان مـاركو بـولو زار جزيرة قـيس ومع انه ذكـرها في مذكـراته واعطاها اسم قيسي وكذلك ممـكن القول عن ابن بطوطه وفي نفس الفترة الزمنية وكما نعلم ان انـتقاله الى البحرين والقطيف كان عن طريق سيراف والتى اسماها قيس ايضا.

وبسـجل (بادجـر) بأن سيـراف قـد استـعـادت جزء مـن تجارتهـا ونشـاطها في القـرن الثالث عشر م ولكن نعـتقد ان بادجر قد اعـتمد في معـلوماته هذه على مـخطوط ابو الفدا والذى يـذكر سيـراف في فـترة متقدمة عن القرن الثالث عشر.

جزيرة هرمز

ان مدينة هرمز غـنية جدا وتصل اليها كل المواد اللازمـة ولكن باثمان غالية وذلك نظرا لانتقالها عن طريق البـحر من الجزيرة العربية وفارس والجـزر الاخـرى ولكن تنتج هذه الجـزيرة الملح ولا يوجـد في هذه الجزيرة اي مصدر للماء اذ تنقل اليها المياه من اليابسة او الجزر الاخرى القريبة.

ان سـوق الجزيرة عـامر بـالبضـائع وتباع المـواد الغذائيـة بالوزن وتعـاقب سلطات الجـزيرة كل من يقـوم بالغش في الوزن او مـخالفـة الاسعار الحكومية ـ وتباع اللحوم المشوية والطرية وباقي المواد الغذائية بنفس الطريقـة ـ وتعتبـر المطاعم في جزيرة هرمـز جيدة ونظيـفة ولذا يقبل عليها الناس يوميا بدل الطبخ في المنازل.

يقـيم الملك في الجزيرة حـيث يمتلك القـصور والقـلاع ويتوافـد الى مجلسه الحكام والوزراء وممثليه في المناطق المختلفة.

ويقـوم المجلس الحاكم بادارة امـور الجـزيرة ولا يتدخل الحـاكم في امور هذا المجلس حـيث ان ذلك يعني فقـدان عينيه واقـامته مع زوجـته اقامة جبرية في منزله واستـبداله بملك آخر (عادة ما يكون احد ابنائه). او اي شخص آخر مناسب لهذا المركز.

ولو تدخل احد الامراء في شئون المجلس فانه يلاقي نفس العقاب ولذا نجد دائما ان هناك مجموعة من الرجال العميان تقيم في منازلها وتعتبر عبرة للآخرين.

يوجد في هذه الجزيرة جيش خـاص بالملك وحرس ملكي ويحصل كل جندي على معاش ومـواد غذائية وبصورة جيـدة ويرسل البعض منهم الى الحدود (على اليابسة) لحماية المملكة.

تضرب النقود الذهبية في هذه الجزيرة وكـذلك الفضية منها وتسمى العمليـة الذهبية (شـرفي) وتساوى ثلاثمائة مـرافيرس ولهـا انصاف تساوي مائة وخمسين مرافيرس والعملة الذهبية مستديرة الشكل تشبه عملة البرتغال وعليها كتابات اسلامية على الجانبين.

اما العملة الفضية فهي مستديرة وذات كتابات اسلامية على الوجهين وتبلغ قيمـتها خمسـة وخمسون مرافـيرس وتمتاز عملة هرمـز بقوتها الشرائية ولذا تستعمل بكثرة في الهند.

عند وصول الاسطول البرتغالي الى هرمز بقيـادة الفونسو البوكيرك لم يوافق اهل الجـزيـرة على مطالبـة ولذا هاجم القـائـد المذكـور المدينة والموانىء ودمر الكثـير منها ونزل في ميـنائها حيث اشتـبكت قواته مع قوات ملك هرمز فـقتل الكثير منهم ودمر واحرق سـفنهم واغرق الباقى منها.

بعد هذا الـدمار الشامل عـقد ملك هرمـز اتفاقـا مع القائد الفـونسو البـوكيـرك والذي طلب اعطائه صـلاحـية بناء قلـعة له في احـد اطراف الجـزيرة ورغم موافـقة الملك ثارت الاهالـي ولكن واصل البرتغـال بناء قلعتهم بعـد قتل الكثير من المواطنين والحصول على تعـهد ملك الجزيرة بدفع مبلـغ خمسـة عشر الف عـملة ذهبيـة (شرف) الى ملك البـرتغال سنويا.

بعد عـدة سنوات ارسل ملك هرمز وولاتها سـفير الى ملك البـرتغال يحمل الرسائل والتعهد بالولاء والهدايا.

بعدها وصل القائد (الفونسو البوكيرك) ومعه الف وخمسمائة جندي برتغالي وستـمائة اخرين من الهنود وتمت مقابلتـه بكل حفاوة وتكريم. وابتدأ البناء مرة اخرى في الموقع السابق وشيدت قلعة عظيمة وكبيرة.

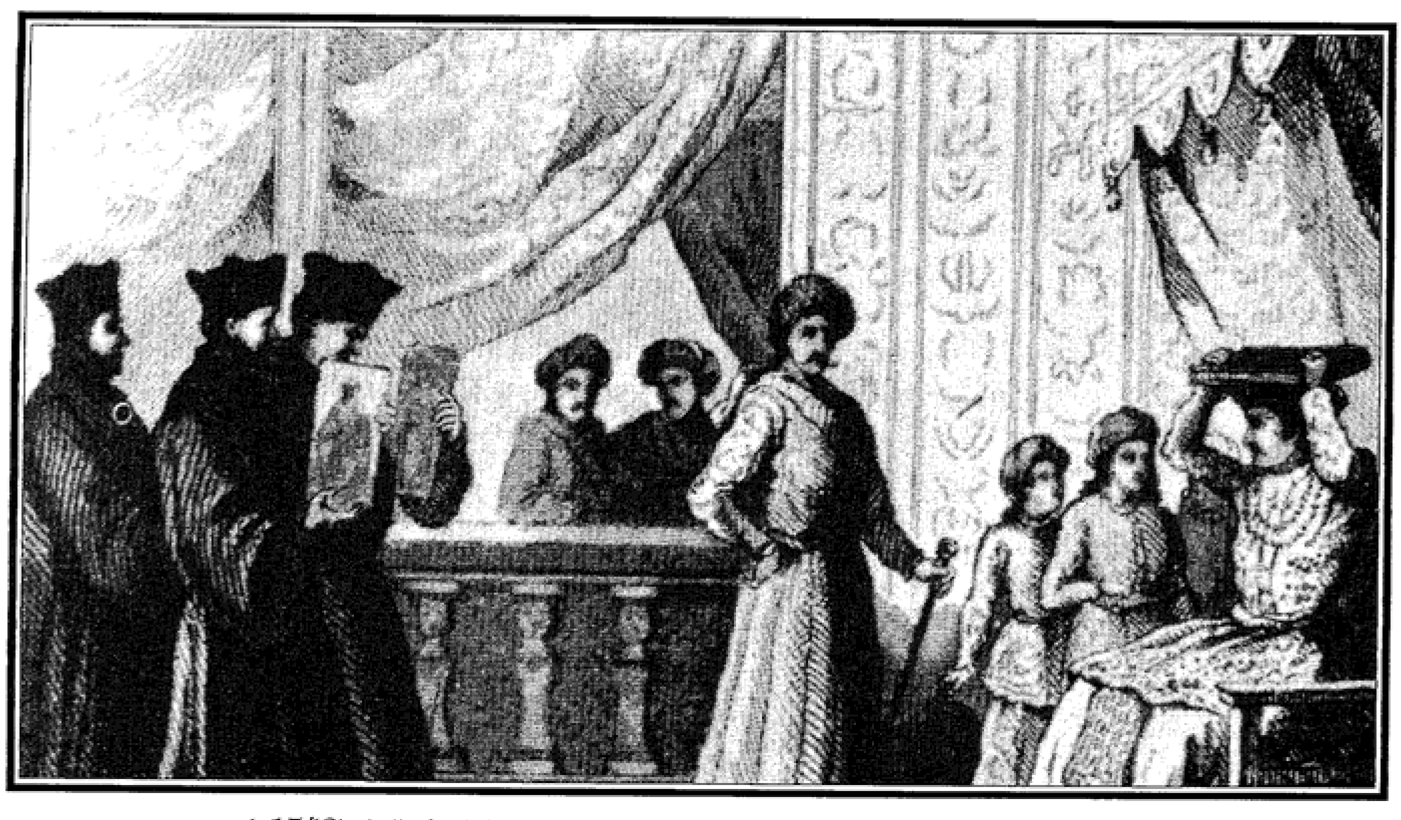
قام ملـك هرمز بتقـديم شكواه الى قائد الـقلعة المذكورة ضـد رئيس وزرائه والذي كان يقوم بمراسلة الشاه اسماعيل سراً ويتعهد له بتسليم الجزيرة اليه ولذا قام القائد بدعوة الملك ورئيس وزرائه (الرئيس حميد) الى منزل كبـير خارج القلعة وعند وصـول الجميع قام القائد الـبرتغالي بدعـوة الناس لقتل رئيس الوزراء ولكن ثار الخـدم والولاة فهـرب الملك والقائد الى سطـح المنزل وحاول الملك تهدئة الامـور ولكن رفض الناس ذلك وتعهدوا بتعين ملك آخر وقاموا باحتلال القصر.

حـاول القائد البـرتغالي الـتخلص منهم بقـوة او طردهم من القصـر واستطـاع القائد بالتـعاون مع الملك بطردهم من القـصر والقلعـة ونفي الجميع الى اليابسة.

ولكن بقى رئيس الوزراء بعـد موافقـته على اعطاء صـلاحيات اكـثر للملك وان يقوم الاول بدور المستشار فقط وان يقوم القائد البرتغالي في القلعة بدور المستـشار الآخر للملك على ان يقوم الاخير بالتـعهد بالولاء لملك البرتغال.

قام قائد القلعة بارسال المنادي الى المدينة والذي اخبر الناس انه اذا ماعاد اولئك المنفيون فان سوف يتم حرقهم جميعا وقام القائد البرتغالي بنفي الملوك الذين سملت اعينهم(1) (الاثنا عشر) في سفينة كبيرة الى الهند حيث تم احتجازهم في الهند بعيدا عن التدخل في امور الجزيرة.

(1) كانت عادة سمل العيون متبعة كطريقة لعقاب كل من يحاول ان يحصل على الملك في هرمز والاراضي الفارسية



الرهبان اليسوعيون (البرتغاليون) يحاولون تنصير الإمبراطور المغولي في الهند (1542م)

رحلة جون . هيو . لينخوتن الى الهند الشرقية

ترجم الى الانجليزية بواسطة

آرثر كوك بدنل

(فارس امبراطورية الهند)
وموظف في دائرة الحكومة من مدراس 1885م

المقدمة

جـان هيو فـان لينخـوتن، هو جـون ابن هيو من قـرية لينخـوتن في مقاطعة اوترت في هولندا.

يعتقد ان جون هيـو قد ولد في عام 1563 في هارلم حيث سكن والده هيو ابن جوستون وامه مارتا ابنة هنرى.

لقد كـانت والدته من منطقة اخـرى تسمى شنهـوفن قريبـة من قرية لينخوتن.

لقد كانت هولندا والى عام 1572 تحت الاحتـلال الاسباني حيث كان رحـالتنا لا يزال في صـبـاه، هذا الاحـتـلال الذى قـاومـه الهـولنديون واستطاعـوا اخراج الظلم الاسبـاني من بلادهم ولكن ليعود مـرة اخرى وبقوة رهيبة لاحتلال هولندا مرة اخرى في عام 1573.

وتحت هذه الظروف قـررت اسرة جـان هيو مـن الرحيل الى منطقـة اخرى اعلنت استقلالها عن الحكم الاسـباني (انكهوزين) واستقرت على احد سواحل هولندا بعيدا عن السلطة الغازية.

ويذكـر لنا رحالتنا بأن اثنين من اخـوته قد ذهبـا في تلك الفتـرة الى اسبـانيا واستطاعـا الاستقـرار والعمل في سافـيل وذلك رغم الحـروب القائمـة بين البلدين فان التجارة بينهـما كانت مزدهرة حـتى في اصعب الظروف فلقد كانت الســوق الهولندية مجالا واسعـا لتسويق سلع الهند والتى يأتى بها الاسبان والبرتغاليون آنذاك.

وفي سن مبكرة ظهرت علـى رحالتنا معالم حب التاريخ والاكـتشاف ولقد كـتب بعد ذلك الى والديه قـائلا: «ليس هناك وقت للضـياع وليس



جون ـ هيو لينخوتن (1583م)

هناك اسوأ من رجل يقضي وقته في مطبخ والدته ولا يدرك ما هو الفقر ولا يعى ما هو الغنى ولا يعرف مـا يخفيه العالم. انها فـعلا الجهالة التى تدمر حياته».

ولذا نجد انه عندمـا بلغ السادسة عشـرة التحق بأخويه في اسبـانيا. وكان رحـيله في الســادس من ديسمـبر 1576 من تيكسل ليـصل الى سانت لوكار جنوبا ومنها الى سافيل في يوم عيد ميلاد المسيح.

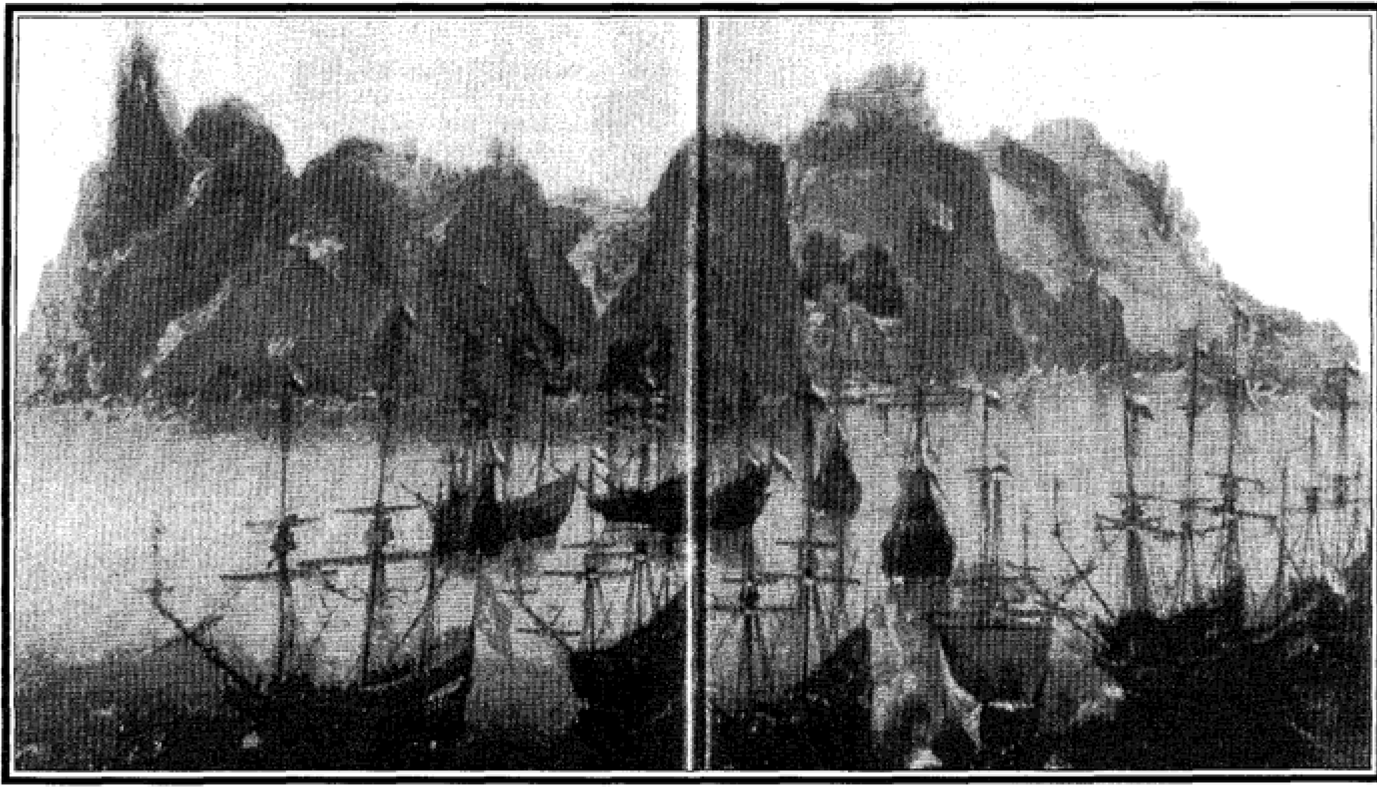
بقى رحالتنا مع اخويه في اسبانيا ليتـعلم اللغة الاسبانية، وينتقل بعد ست سنوات الى العـمل في احـد البيـوت التـجارية في لـشبـونة والتى يضطر لمغادرتها بسبب كساد التـجارة الناتجة عن الحرب الاسبانية مع البرتغال.

ولذا يقرر حـالتنا الالتحاق باسطول الـهند البرتغالي يرافـقه في تلك الرحلة احد اخـوته والذى عمل كاتبـا للسفـينة واستطاع تدبير وظيـفة لاخيه الصغير مع مطران جوا الجديد فينسنتي دى فونسيكا والذى كان على ظهر نفس السفينة.

في الثامن من ابريل عـام 1583 غادر الاسطول لشبـونة متجـها الى الهند ووصل الى موزمبيق في الخامس من اغسطس من نفس العام.

لقد كانت مـوزمبيق من اهم المحطات البحريـة لاسطول البرتغال على الساحل الشرقي لافريقيا وفيهـا تتوقف جميع السفن المتجهة الى الهند. وبعد توقف في مـوزمبيق استـغرق اسبوعين توجـه الاسطول الى جوا حيث وصلها في الحادي والعشرين من شهر سبتمبر ودخل نهرها.

احسن الاهالي استـقبال الاسقف ورافقوه حـتى سكناه (في قصره)



الأسطول الهولندي في سانتا هيلانا (1596م)

وافترق الاخوان لينخوتن فقد بقى جون مع المطران وعاد اخوه الى البرتغال مع سفينة تجارية محملة بالبضائع الهندية في فبراير 1584.

بقى جون لينخوتن خمس سنوات في جوا مع مطرانها الجديد وجيء في السنة الاولى منها باثنين من الانجليز (جون نيوبرى) و (رالف فيتش) وقد القي القبض عليهما بتهمة التجسس للدون انتونيو (الانفصالي المقيم في كراتو) والمطالب بعرش البرتغال، هذا اضافة الى ان السير فرنسيس دريك القائد البحري الانجليزي قد هاجم المستعمرات والسفن البرتغالية في ملقا واثار الرعب فيها.

اذ كان خوف البرتغاليين من عودة السير فرنسيس دريك الى ملقا وطردهم منها محققا حلم اهالي تلك المنطقة الذين عانوا الكثير من الوجود البرتغالي فيها.

لقد كانت الاسباب المذكورة مصدر خوف مستمر من قبل البرتغاليين في الشرق من اي بحار انجليزي في المنطقة.

امر المطران بمراقبة التجار الانجليز المعتقلين في جوا ولكن وبتدخل ووساطة من جون لينخوتن وزميل المانى آخر (برنارد برشرت) من هامبورج تم اطلاق سراح (الانجليزيين).

في ابريل 1584 عاد برنارد برشرت الى اوروبا عن طريق اليابسة بعد وصوله الى البصرة ومنها الى حلب ثم اوروبا بينما قرر جون لينخوتن البقاء في المنطقة عله يجد ما يشد انتباهه وقد ذكر ذلك في رسالة الى والديه قائلا: «انني اتمنى السفر الى الصين او اليابان فان المسافة بين جوا وتلك المنطقة تعادل المسافة بين جوا والبرتغال وحبذا لو

كان لدي ثلاثمئة من (الدكتا) عملة برتغالية، فانني استطيع التجارة بها والحصول على مردود مالي قدره ستمائة او حتى سبعمئة دكتا. اود ان ابلغكم ان لدي صديقا هولنديا توجه هذا العام الى الصين واليابان على ظهر سفينة بصفة جندي مدفعية - لقد امضى هذا الصديق ستاً وعشرين سنة في هذه البلاد وهو متزوج من سيدة هولندية وقريته تسمى اينكهوزن، اما عن اسمه فهو ديريك كريتز وقد حاول ان يأخذنى معه الى الصين ولكنني ترددت لعدم امكانياتي المادية - اما بالنسبة له هو فقد قرر الاستقرار في هولندا بعد عودته من هذه الرحلة الى الصين.

لقد ذكر جون لينخوتن اسم هذا الهولندي مرات اخرى ولقبه (بالصين) وهو الذى أمده بكل المعلومات عن طريق الصين واليابان.

لقد كانت هذه المعلومات التى قدمها ديريك (الصين) ذات فائدة جمة لاول اسطول هولندي يعبر مضائق ماجلان الى الهند تحت قيادة القائد البحري الشهير لوكاس جانز واجز.

لم تتحقق رغبة جون لينخوتن في زيارة شرق آسيا فقد تركه المطران في وظيفة مرموقة عندما غادر جوا عائدا الى لشبونة في يناير 1587 لمقابلة ملك البرتغال لبحث امور الهند معه.

في سبتمبر 1588 وصلت انباء وفاة المطران قبل وصوله الى لشبونة، ولقد كان هذا النبأ سيئا بالنسبة لمن ارتبط مصيرهم ومستقبلهم بهذه الشخصية الدينية وبطبيعة الحال كان جون لينخوتن احد المتضررين من هذه الوفاة.

لقد كانت وفاة المطران داعيا لاثارة الرغبة في العودة الى الوطن لدى

جون لينخوتن وابتدأ يتحين الفرصة المناسبة لذا نجد انه في العشرين من يناير 1589 يغادر جوا بالسفينة الى كوشين يرافقه صديقه الهولندي ديريك كريتز وخمس سفن اخرى – وفي طريق العودة توقفت هذه السفن في جزيرة سانتا هيلانا وفيها قابل جون لينخوتن رجلا آخر يدعى جرت فان افوهوزن والذى كان على معرفة به من لشبونة وكان هذا الاخير في طريق العودة الى انتورب بعد ان قضى اربعة عشر شهرا في ملقا.

من هذا الصديق جمع جون الشغوف بالمعرفة معلومات كثيرة عن تجارة الشرق في ملقا والجزر المحيطة بها.

انتهز جون لينخوتن فترة وجوده في جزيرة سانتا هيلانا وجزيرة اخرى تسمى اسنيون في رسم شواطىء هذه الجزر ونقاطها المهمة.

وصلت السفن البرتغالية الى الازور في الثاني والعشرين من يوليو وكادت ان تتعرض الى الاسطول الانجليزي المعادى لها في الطريق لذا قررت المجموعة التوجه الى جزيرة تيرسيرا للرسو في المنطقة المقابلة لها رغم وجود المخاطر في ذلك.

في الرابع من اغسطس هبت عاصفة هوجاء على تلك الجزيرة ادت الى غرق السفينة البرتغالية.

ترجى فان افوهوزن من جون لينخوتن في ان يبقى معه في هذه الجزيرة ويحاولان معه انقاذ حمولة السفينة الغارقة بأية طريقة ممكنة.

وافق الاخير على البقاء وامتدت فترة بقائه الى عامين تجول خلالهما في هذه الجزيرة بموافقة وتشجيع من حاكمها.

اننا ندين الى جون لينخوتن على ما قدمه لنا في هذه الفترة عن معلومات وافية عن الازور وحركة الاساطيل فيه حتى نهاية 1591 وخاصة ملاحظاته الهامة عن الاساطيل الانجليزية المتوجهة لملاقاه الاساطيل الاسبانية والبرتغالية العائدة من امريكا الجنوبية (الانديز) هذا الى جانب روايته عن مقتل المحارب الباسل ريتشارد جرنفيل.

في الثاني من يناير 1592 عاد لينخوتن الى لشبونة وبعدها الى سيتوبال متوجها الى هولندا ووصل الى قريته في الثالث من سبتمبر بعد غياب دام ثلاث عشرة سنة «توفى خلالها والده اما والدته واخوه واخته فقد كانوا جميعا بصحة جيدة».

لقد كانت ثمرة رحلات هذا الهولندي ما قام بتدوينه فور عودته والذى منحه المراقب العام في اكتوبر 1594 حق طباعته ورغم التأخير في ذلك فقد انتهى من مخطوطه في بداية 1596.

يتكون الجزء الاول من هذا المخطوط مقدمة واصدارا الى المراقب العام وقصائد لاتينية وهولندية مع صورة مرسومة لشخصية الكاتب. في هذا الجزء توجد عبارات اضافية مطبوعة بخط آخر قام الطبيب المتعلم برناردتن بروك باضافتها اليه وسوف نجد ان اسم هذا الطبيب قد تحول في فترة بعد ذلك الى بالودانوس.

لقد ولد هذا الطبيب في ستينوك في مقاطعة اوفريسيل في عام 1550ولقد تعلم في جامعة بادوا وزار سوريا ومصر عائدا منهما بصناديق مليئة بعجائب الطبيعة والتى كانت بؤرة اهتمام الكثير من

الاجانب الذين زاروا قريته اينكهوزن. وتركوا له بعض الهدايا الى جانب هدايا من جون لينخوتن.

في عام 1591 عـرض منصب الاستاذية عليـه من جامعـة ليدن ولكنه فضل البقاء مع مواطنيه وفي قريته.

لقد عرف العالم هذا الطبيب بالودانوس من خلال كتاباته في مخطوط ابن قريته جون لينخوتن والتى دون فيها كل خبراته وخبرات الآخرين.

اما الجزء الثاني من العمل العظيم لهذا الكاتب (والذى تمت طباعته قبل الجزء الاول) فانه يحتوى على الطرق البـحرية للهند والشرق وسواحل امريكا وقام بترجمتها من ربابنة برتغاليين واسبان وتتركز الاهمية على ذلك الجـزء الذى وصف فيـه الطريق البـحرى الى ملقـا وما بعـدها من أرخبـيل الملايو والشواطىء الصينيـة. ان هذا الجزء يعتـبر اكبر خـدمة قدمـها الكاتب لبلاده وللآخريـن بعد ذلك وكما هو في الجـزء الاول فان هناك اسـتطرادا في الجـزء الثانـي يصف فيـه الكاتب المناطق الـتابعـة والدخل المالي والضرائب المفـروضـة لملك الاسبان مع شرح مـبسط لقوة الحكومـة واصـول ملوك البـرتغـال. وقـد قـام بتـرجـمـة ذلك كله عن الأسبانية.

اما الجزء الثالث فـانه يحتوى على شرح مختصر للسـواحل الشرقية والغربية لافريقيا مع شرح آخر لامريكا.

هذه المواضيع اخـذها الكاتب من الكاتب لوبيز الذى كـتب عن الكونغو

TYPVS ORBIS TERRARVM

خريطة العالم 1600م

وبيتـر مارتير افيـدو عن امريكا وجين ديلرى عن البرازيل وسـاعده في ذلك بالودانوس.

لقد احتـوت الطبعة الاصلية على ست وثلاثين لوحـة رسمت بواسطة الكاتب وتم حفرها على الالواح بواسطة الاخوين جوان وبابتيسا هذا الى جانب ست خرائط كبيرة قام برسمها ارنولدوس وهنريكس فلورنتي.

يسـتطيع القـارىء للنسخـة الاصليـة ان يتعـرف على جـوا والمناطق المحيطة بها ومـوزمبيق وجزيرة سانتا هيـلانا وانكرا والعالم من خلال رسوم الكاتب والخارطة الكبـيرة المرفقة مع الكتـاب والتى تحمل توقيع الرسام الهولندي ج. بابث فرينت (من أنتورب) وهو الذى اشترى واعاد طباعة اطلس اورتيلوس.

في الخريطـة المذكورة رسمت المواقع الشـمالية والجنوبية وخـاصة كولـومبـيا والتى رسـمت لأول مرة بواسطة رسـام هولندي ورياضي يسمى بيتروس بلانسيوس.

اما الخرائط الباقية فهي لسواحل افريـقيا الشرقية والغربية ولو قارنا هذه الخـرائط بتلك التى رسمت فـي ذلك العصـر بواسطة اوتيلوس ود. جود فانها ادق واحسن قراءة وذلك لاستـخدامها المعلومات المتوافرة من البرتغال والاسبان.

ولو رجعنا الى الاوراق الخاصة للمراقب العام (التابع للدولة) نجد أن هناك خرائط لمسارات البحر ووصفا كامـلا لها، حصل عليها الناشر لهذا المخطوط (كورنيلوس كـلايزس من امستردام) من بارثلمـيو دى لاسو (راسم البحـار للبلاط الاسبـاني) هذا الى جانب براءة طباعـة المسارات

البحرية والبرية للعالم والتى قام برسمها بلانيكوس وتم حفرها بواسطة جون دوتشم مع خريطة بحرية لآسيا قام باعدادها اخصائي البحار في جوا في الهند الشرقية.

اما بالنسبة لخريطة العالم والتى كانت مع المخطوط فهي نسخة مصغرة لخريطة العالم التى رسمها بلانيكوس وتحتوى على مواقع قام هو بتسميتها، اما عن مخطط المسارات البحرية في آسيا فانه دون شك قد حصل عليه الكاتب من بارثلميو. دي. لاسو واستخدمها في الخرائط التى قال عنها (انها تم رسمها من ادق المصادر التى يعتمد عليها الربابنة البرتغاليون) ولو قارنت ذلك برسومات اخرى استطيع ان اؤيد الكاتب في مقولته هذه.

عندما عاد جون لينخوتن الى هولندا في سبتمبر 1592 كان مشروع الابحار الى الهند عن طريق شمال آسيا لا يزال قائما في مخيلة التاجر الزيلندي (ميدل برج) بالشيزار د. موشيرون (ورغم ان الانجليز قد اكتشفوا هذا الطريق واوقفوا استخدامه) كان هذا التاجر والذى تعامل مع مناطق شمال روسيا مصمما على استخدامه كأقصر طريق الى الهند.

استطاع هذا التاجر اقناع المراقب او المدعي العام وامير البرتغال (هكذا كان يسمى الهولنديون) وطلب مساعدتهما والتحق به فرنسيس ميلسون والذى كان متقاعدا في اينكهوزن واصبح في مكانة مرموقة في الدولة وصديقا حميما للكاتب (جون لينخوتن).

ومن اجل تنفيذ المشروع جهزت ثلاث سفن صغيرة الاولى منها من



معركة بحرية بين سفن البرتغال وهولندا قرب سيلان 8 مارس 1640م

ميدل برج (زيلاند) والثانية من اينكهوزن والثالثة من امستردام وتم تعيين جون لينخوتن مسئولا عن تدوين يوميات السفن واحداثياتها وان تكون سفينته هى سفينة اينكهوزن.

في الرابع من يونيو 1594 غادرت السفن من تيكسل وعادت في سبتمبر من نفس العام وكانت عودة سفينة ميدل برج واينكهوزن بعد ان وصلتا الى بحر كارا ووجدتا طريقا مفتوحا بعد المضائق ويؤدى الى الشمال اما السفينة التابعة لامستردام والتى كان ربانها ويليام بارنتز فقد ابحرت بمحاذاة الشاطىء الغربي لنوفازمبلا وعبرت رأس ناسو وواجهت بعدها صعوبة في المياه المتجمدة وعادت الى تيكسل مرة اخرى.

قام جون لينخوتن بتنفيذ الاوامر الصادرة اليه وقدم تقريره المطلوب كتابيا الى الامير موريس والمدعى او المراقب العام. بعدها طلب منه الحضور الى مدينة (الهيج) ليقدم تقريرا مفصلا الى الامير والى جون فان اولدنبارنفلت (رئيس الحكومة) آنذاك وكما ارادا قدم الكاتب تقريرا مفصلا (طبع بعد ذلك في عام 1601) مدعما بالخرائط والرسومات البحرية ولوحات محفورة تصور الحياة في شمال روسيا وسكان تلك المناطق الذين كان العالم يعرف القليل عنهم.

بعد هذه الرحلة الاستكشافية اصبح جون لينخوتن مقتنعا تماما عن وجود طريق شمالي الى الهند والصين وقد اصبح مكتشفا الآن ومع هذا الحماس والقناعة استطاع اقناع مجموعة من مواطنيه.

في السنة التالية اعدت سبع سفن بهدف التوجه الى الهند والصين من هذا الطريق.

وفي الثـاني من يوليـو 1595 ابحـرت هذه السـفن من تيكسل مـرة اخرى وقـد عين جون لينخوتن في وظيـفة مفوض عـام وطلب منه مرة اخرى تدوين حيثيات الرحلة.

وكما حدث فـي المرة السابقة لم تتمكن هذه السفن من اختـراق البحار المتجمدة في بحر كارا فقررت العودة.

لقد كانت خـيبة الامل بنفس حجم الامل والارادة في الـبداية ولذا قرر المدعي العـام عدم العـودة لهذا المـشروع وخـاصة ان نفـقاته كـانت من الخزانه العامة.

ولكن ونتـيجـة لاصرار ويليـام بارنتـز وآخرين مـعه والذين كـانوا يعـتقـدون ان هناك طريقا شـمالـي نوفازمـبلا، وبناء عليـه قرر تجـار امستردام ارساله في رحلة ثالثة في نفس الطريق في عام (1596) ادت الى موت مكتشف البحـار ويليام بارنتز نتيجة لقسوة شـتاء نوفازمبلا وهكذا عادت السفينة وانتهت المحاولة الثالثة.

قبل مغادرة الاسطول الهولندي الثـانى الى الشمال اتجه اسطول آخر من هولندا الى الشـرق في اثر الاسطول البـرتغـالي، وبما ان مـخطوط لينخوتن لم يكن في متناول احـد قبل 1596 فان ذلك يعنى ان المشروع الهولندي جـاء هنا بناء على جهد شـخصي لتجـار هولندا ولكن لم يمنع هذا من الاعتقـاد بان هؤلاء البحارة استمدوا مـعلوماتهم بالفعل من هذا المخطوط وخاصة الجزء المطبوع في 1595 اضافة الى المعلومات المنقولة شفهيا اليهم من الكاتب وخاصة طريق الابحار بعد رأس الرجاء الصالح والى الهند.

لقد ذكر صاحب المخطوط لتجار هولندا اهمية جاوه وامكانية التعامل مع اهلها واكد وجود المواد التجارية وخاصة بعد أن شاهد التجار البرتغاليين يتاجرون هناك دون قيود. لذا نجد ان الاسطول الهولندي عندما اتجه شرقا توجه الى مضيق سوندا وكانت جاوه اول منطقة في آسيا وصل اليها هذا الاسطول.

لقد كان توجيه لينخوتن لهؤلاء التجار السبب الرئيسي في تحول جاوه الى اكبر مركز تجارى هولندي في الشرق الاقصى.

بعد المحاولة الثانية للوصول الى الهند عن طريق الابحار شمالا قرر لينخوتن الاستقرار في ميناء اينكهوزن وهناك اقام علاقة قوية مع برنارد بالودانوس، ولوكاس جانز واجز وعين لينخوتن امين خزانة البلدة.

ومع هذه الصداقة الجديدة اصدر الصديق واجز كتابا عن اتجاهات الابحار وشكر في مقدمته صديقه لينخوتن لما قدمه له من مساعدة جليلة ومعلومات جيدة.

في نفس العام اصدر لينخوتن كتابا جديدا (ترجمة هولندية لكتاب الاب اليسوعي جوزيف د. اكوستا عن التاريخ الطبيعي للانديز – امريكا) وذكر مقدمته بانه يعتقد ان ما كان يعرفه عن الهند الغربية هو وصاحبه بالودانوس اقل بكثير في الوصف والمحتوى عن ما ذكره الاب اليسوعى اكوستا.

في عام 1606 قررت دويلات اقليم هولندا تشكيل شركة الهند الغربية والتى سوف تباشر اعمال التجارة مع امريكا – الشواطىء

الغربية من افريقيا وتحارب الاسبان في هذه المناطق. وبناء عليه شكلت لجنة لبحث امكانية انشاء هذه الشركة واذا ما توفرت في هولندا الشخصيات المطلوبة والمتخصصة للالتحاق بها. هنا نجد اسم لينخوتن مرة اخرى ولكن وبسبب الصلح المعقود مع اسبانيا لم تر هذه الشركة النور الا بعد اثني عشر عاما (اي بعد انهيار الصلح المذكور).

وفي عام 1609 قام لينخوتن بترجمة رسالة من ملك اسبانيا الى دوق ليرما يذكر فيه الأول عن خططه لمحاربة البرتغاليين. نحن نعتقد ان لينخوتن كان سعيدا باكتشافه هذا وخاصة انه سبق وان عاش في اسبانيا وهو على دراية تامة بمدى الفساد الذى وصل اليه البرتغاليون.

في عام 1610 جدد المدعى العام حق طباعة مخطوط لينخوتن ولكنه لم يقدم على ذلك اذ انه كان يتوقع معاملة احسن من بلده لما فعله لها. وذلك لان ما جمعه من معلومات فتحت آفاقا لبلاده في الشرق، وحتى رحلات الشمال مع فشلها فانها قد اضافت معلومات كثيرة عن هذه البحار القطبية، لذا لن نتعجب عندما نعلم انه قد طلب منحة سنوية من المدعى العام، فاستجابت له الدولة باعطائه مبلغا ماليا نظير ما قام به ولكن لم توافق على المنحة السنوية والتى حتى لو وافقت عليها الحكومة فانها لم تكن لتسعده لانه توفى في 8 فبراير 1611 وعمره كان آنذاك ثمانية واربعين عاما فقط.

لقد ذاعت شهرته واصبحت رسالته المقروءة من مخطوطه المذكور والتى يقول فيها «بأن امبراطورية البرتغال اصابها العفن والتفسخ ولذا فانه لا بد من خروج سلطة جديدة تشغل الفراغ الذى سوف تتركه هذه الامبراطورية بذهابها».

ترجم هذا العمل القيم الى الانجليزية والالمانية في عام 1598 والفرنسية في عام 1610 واعيدت طباعته عدة مرات. واصبح والى فترة طويلة مرجعا للدارسين والباحثين ولكن مع مرور الايام وتطور سبل المواصلات وازدياد المعلومات المدونة اصبح هذا الكتاب مرجعا يعطى التصور الكامل للهند البرتغالية.

ب. أ. نيل

اكتوبر 1883

شرح سواحل الجزيرة العربية والبحر الاحمر وقلعة هرمز:

تعتبر عدن اقوى مدينة على الساحل العربي وهى تقع عند اقدام الجبال الشاهقة وتحدها من جهة البحر الجدران القوية وتحميها خمس قلاع محصنة وبها حاميات بصورة دائما لحمايتها من الاعتداءات البحرية.

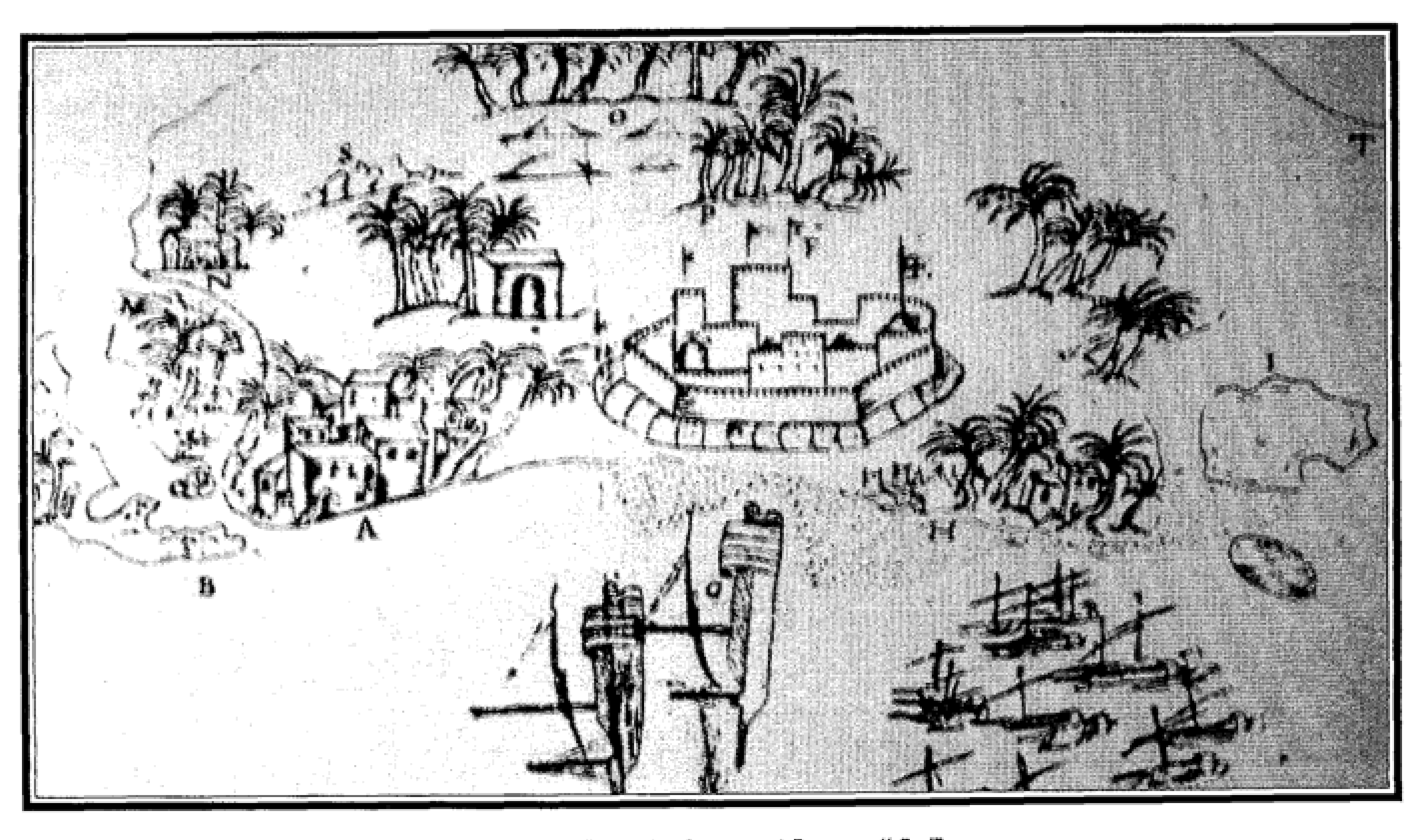
وعدن مدينة تمر بها الكثير من السفن وتحتوى على ستة الآف بيت ويسكنها الهنود والفرس والاحباش والاتراك.

تنشط الاعمال التجارية في الليل وذلك لحرارة الشمس في النهار. يسكن حاكم عدن في قلعة مهيبة خارج المدينة. وقبل فترة من الزمان كانت ارض عدن صخرية صلبة ولكن قام رجالها بتغييرها الى أحسن والى شمال عدن يقع الساحل الشمالي لجزيرة العرب والبحر الاحمر (وحدود العربية السعيدة).

وتقع عدن على ثلاثة عشرة درجة في الشمال ومن هناك لو اتجهنا شرقا فاننا نصل الى (رأس الحد) والذى يقع على اثنتين وعشرين درجة وهو نقطة بارزة في البحر من الجزيرة العربية ويقع في المحيط الهندي ويبعد عن عدن مائتين واربعين ميلا.

ويقع بقرب مدينة عدن جبل (صيده) والذى تشكل من الرخام الاحمر والصخور الصلبة. واهلها سمر اللون مثل اولئك الذين يسكنون (مالندى).

ومنها تصدر الفواكه والخيول الجيدة ومعها اللبان والبخور والبلح



قلعة البحرين قبل ترميمها بواسطة البرتغاليين

وخشب البلح والحلويات، ويعتنق الاغلبية منهم دين الاسلام مثل الفرس في فارس.

ومن رأس الحد والى الشمال الغربي حتى رأس مسندم المنطقة التى كانت تسمى (البوره) (او اسبون) او الجبل الاسود. والمسافة بين هاتين النقطتين سبعون ميلا.

وتقع منطقة رأس مسندم مقابل هرمز وعلى ست وعشرين درجة. ويبدأ منها الدخول الى المضائق الفارسية والتى تسمى بالبحر الفارسي وتقع هرمز في هذا المدخل وفي شمالها ارض فارس وفي الجهة الاخرى ارض الجزيرة العربية. وتبلغ مساحة هرمز عشرون ميلا مربعا.

وفي رأس مسندم وبمحاذاة السواحل العربية وعلى بعد ثمانون ميلا تقع البحرين عند الدرجة السادسة والعشرين.

يوجد في البحرين وكيل لقائد قلعة هرمز والتى يصطاد بها احسن لؤلؤ في العالم والتى تسمى بلآلىء الشرق الحقيقية ولو اتجهنا شمالا في البحر وعلى بعد ستون ميل تقع البصرة على الدرجة الثلاثين. حيث يلتقي دجلة بالفرات وبعدها تقع اثار بابل ويعتقد الكثير ان هنا كانت تقع في يوم من الايام الجنة. ولو عدنا بمحاذاة الساحل الفارسي فاننا نصل الى جزر هرمز والتى بنى فيها البرتغال قلعتهم واصبحوا يعيشون بها مع سكانها الاصليين. ويسكن في هذه القلعة قائد وضباط وجنود ويتغير قادتها كل ثلاث سنوات مثل قلعة موزمبيق.

جزيرة هرمز ومدينتها

تقع هرمز علـى جزيرة (جيـروم أو جرون او قارون) وكـانت تسمى سابقا في عهد اليونانيين (او غيرس) وقـد استولى عليها البرتغال ولكن ابقوا على العائلة المالكة فيها، ويسكن البرتغاليون طرفا خاصا من المدينة اما البـاقي فان ساكنيـه من اهل الجزيرة والذين يدينون بالاسـلام مثل الفرس ولهم نفس الـعادات حتى في سـمل عيون اعـدائهم او المتربصين بالملك من الرجـال وذلك حتـى يتم استـثنائهم حـسب قانون هرمـز من السلطة (هـذا القـانون يمنع الأعـمى من ان يكون رئيـسـا او مـلكا على الجزيرة).

تمتد الجزيرة على مدى ثلاثة اميال، وتغطيـها المرتفعات الجبلية وهي جزيرة لا ماء بها ولا زرع. وجبـالها ملحية وتبنى بيوت الاهالي من هذه الصخور الملحية.

ورغم ذلك فهي بلاد غـنية مليئـة بكل المواد الغذائية والـلوازم المنزلية والتى تنقل اليـها من الجـزيرة العربيـة وارض فارس والبصـرة والهند وتركيا.

ويزور هذه الجزيرة الفرس والارمن والاتراك وحتى الفينقيين والذين يأتون لشراء التوابل والاحجار الكريمة.

وتنتقل بضائع الهند منها الى البندقية والجزيرة العربية وفارس وكل مكان.

وتصل البـضـائع الى هرمـز من جـورجـان ومنـاطق اخـرى مـثل الشراشف والأغطية المطرزة والتى تسـمى القطايف ومن تركيا الشالات

ومن الجزيرة العربية تصل بعض الاصباغ الطبيعية والاعشاب مثل المر والبخور وكذلك الخيول الاصيلة ولؤلؤ الشرق من مسقط وسواحل الجزيرة والتمور والحلوى وتنتقل هذه الاشياء من هنا الى الهند وتستعمل العملة اللارية بكثرة هنا (عملة فضية تشبه الملقط وقد كتب على احد اضلعها او رسم عليه وتضرب هذه العملة في لار) وتباع هذه العملة في الهند وذلك بسبب جودة الفضة فيها.

اما عن تجارة الشمال فهي تصل الى البصرة من سوريا وطرابلس وحلب عن طريق البر وبالقوافل الى البصرة ومنها تنقل السفن التجار وبضائعهم الى هرمز وتصل هذه القوافل مرتين في العام (شهر ابريل وسبتمبر).

تسافر هذه القوافل بعد استعدادات كبيرة في الشمال وتصل الى البصرة بعد مسيرة طويلة تقوم خلالها العساكر في حماية القافلة ضد اللصوص العرب ويبلغ احيانا عدد المسافرين مع القافلة اربعة الى ستة الاف شخص.

وتستغرق الرحلة اكثر من اربعين يوما تتوقف القافلة فيها مرة كل اربعة ايام للتزود بالماء من الابار وتجمع المياه في جلود الماعز.

استطراد – لقد توقف العرب عن قطع الطريق واصبح الطريق آمنا الا انهم كانوا يقطعون الطرق ويسرقون ايام المسيحية ولقد توقفنا فعلاً في مناطق يقطنها العرب واكلنا معهم الخبز واللحم (لحم الجمال).

وتتبع القافلة مجموعة أخرى من الناس تحمل معها العسل والتمور والاغنام والدجاج والبيض واشياء اخرى للاستعمال الشخصي.

ويرتحلون مع القافلة حتى يصلوا الى البصرة ويبقوا فيها عدة ايام يغادرونها بعد ذلك فى مجموعات صغيرة الى حلب.

وفي حلب يتجمع التجار من كل مكان عدا البرتغاليين والاسبان ورعايا ملك اسبانيا حيث انهم غير مسموح لهم بدخولها ومع ذلك استطاع الكثير من الوصول الى هناك بانتحال شخصية الفرنسيين او الانجليز او حتى اهالي البندقية.

ويقيم الفنيقيين في حلب وطرابلس ويسافرون بينهما والى مرسيليا والبندقية ولندن وينقلون بضائعهم الى حلب عن طريق اليابسة حيث يحصلون على صلاحيات كثيرة هناك وحرية التجارة المضمونة لهم بواسطة الاتراك وسلطان تركيا.

ان هذا السلطان التركي تصله كل يوم الانباء والاخبار من جميع مناطق العالم والتابعة له وحتى من الممالك والبلدان الاخرى ويتم نقل هذه الانباء والرسائل في تركيا بواسطة الحمام الزاجل والذى يتم تدريبه لهذا الغرض.

وتطير هذه الطيور من البصرة الى بغداد ومن بغداد تنقل الرسائل بنفس الطريقة الى حلب ومنها الى القسطنطينية ويتم ربط الرسائل ذات الأهمية العامة في الحلقة المحيطة برجل الحمامه.

وتطير هذه الحمامة آلاف الأميال والتى في اعتقاد اكثر الرجال مستحيلة ولكنها الحقيقة ولقد شاهدت بنفسى هذا النوع من الحمام الذى اتى به تاجر فينيقي الى الهند.

دعونا نعود الى جزيرة هرمز مرة اخرى والتى تقع تحت الدرجة

السابعة والعشرين وتمتاز بحرارة الجو في الصيف ولذا يقوم الناس بالغطس في اوعية خشبية كبيرة مليئة بالماء ويقوم النساء والرجال بالنزول فيها تاركين رؤوسهم فقط فوق السطح وجميع اسطح بيوت اهل هرمز مسطحة وتخترقها ابراج للتبريد الهوائي في الداخل. ويستخدم الاهالي المراوح وكل الوسائل الاخرى بغرض التهوية في الصيف.

اما في الشتاء فان الجزيرة باردة مثل البرتغال.

تجلب المياه الى الجزيرة من اليابسة وتخزن في اواعى فخارية وخزانات صناعية يوجد الكثير منها في القلعة وتسع الى تخزين المياه لمدة تزيد عن السنة والنصف.

وهذا بعكس موزمبيق والبحرين حيث يحصل الاهالى على الماء من اعماق البحر ويتم تجميعها بواسطة انابيب يستخدمها الناس لذلك او الغوص لها والحصول عليها في جلود الاغنام.

يصاب الناس في هرمز بالديدان التى تنتقل عن طريق مياه الشرب وتنمو هذه الديدان تحت جلد الارجل ويبلغ طولها ذراعين الى ثلاثة ويتم تخليص المصاب بها بطيها كل يوم على عود خشبي حتى تخرج كلها من المصاب ويداوى جرحها بواسطة الزبدة.

اذا ما انقطع احد هذه الديدان فانه يسبب آلاماً مبرحة للمصاب، ويرجع المؤلف الى مخطوط الزهراوي (ابو بكر او كما يسميه الاسبان البوقسيس) لشرح هذا المرض التى تسببه هذه الديدان.

ولقد علمت عن هذه الديدان عندما كنت في جوا في خدمة المطران حيث كان لدينا خادم من هرمز مصاب بها وقام بعلاجها بنفس الطريقة.

ويضع الناس اهمية هرمز في الصدارة اذا ما قورنت بسفاله او موزمبيق.

وترسل سفن التجار من هنا الى جوا وشول والبنغال ومسقط ومناطق اخرى ولكن يقوم البرتغال بمنافسة السكان في التجارة ويأخذون الأولوية في كل شيء رغم انه تصرف شخصي ولم يصدر من ملك البرتغال. وبذلك سيطر قادة القلعة على تجارة الخيول واصبح لهم الحق وحدهم فقط في تصدير الخيول الى الهند حيث يحصلون على مبالغ طائلة مقابل ذلك. (اربعة الى خمسة مئة بارداون) وحتى ان بعضها يصل الى الف بارداون وكل بارداون تعادل دولار (ريكس) (الفلاندرز) وتصل السفن من جوا الى هرمز في شهر يناير وفبراير ومارس وسبتمبر واكتوبر.

ولو تتبعنا الساحل المقابل لهرمز في اتجاه هرمز فاننا ننظر الى كرمان ويقع رأس كرمان تحت الدرجة الخامسة والعشرين، ويبعد ثلاثين ميلا عن هرمز، وعلى نفس الساحل يوجد نهر السند ويقول بعض الرجال انه من هذا النهر اشتقت الهند اسمها ويقع فم او مدخل هذا النهر تحت الدرجة الرابعة والعشرين ويبعد عن رأس جسك مئة واربعين ميلا، وعلى ضفتى هذا النهر تقع بلاد السند حيث اطلق البرتغاليون عليها ذلك، هذه الارض غنية وخصبة وتنتقل عبرها التجارة مع كل الدويلات المجاورة وكذلك مع البرتغاليين في الهند وفي هرمز وتمتاز بالقطن الجيد.

اللآلئ والاحجار الكريمة

تسمى اللآلئ بواسطة البرتغاليين (بيـرالوس) والصغار منها تسمى (الجفار) وباللغة اللاتينية مارجـريتا وبالعربية اللؤلؤ وفى الهند تسمى مـوتى وفى ملبـار موتيـتـو وتوجـد اللآلئ الجيـدة فى بلاد الشـرق واجودها فى تلك البـلاد الواقعة بين هرمـز والبصرة فى مـضائق خليج فارس وفى بلاد تسمى البحرين والقطيف وجامبرون وتنقل هذه اللآلئ من هذه البلاد الى هـرمز وهناك وكيل لملك البـرتغال فى البـحرين وهو يقيم بها من اجل اللآلئ فقط وهناك حركة تجارية قوية وتجار يتعاملون فى تجارة الـلؤلؤ، هذا كمـا توجد اللآلئ فى سـيلان وفى رأس كـمرين وبكثـرة وكمـا فى البحـرين يوجد فـى هذه المناطق ضبـاط برتغاليـون ممثلين للملك ويسـاعدهم جنود برتغال فى عـملهم. ويعتـمد سكان هذه المناطق على صـيـد اللؤلؤ ويدفع البـعض الثمن اما بالـغرق او بعـد ان تهاجمه اسماك توبارونس (القرش).

ومع الوفرة الكبيرة فأن لؤلؤ هذه المناطق لايضاهى لآلئ هرمز والتى تبـاع بأثمان اكـبر من لآلئ سـيلان. وبنـسبـة اقل من المناطق السابقـة وتوجـد لآلئ فى جزيرة بورنيـو وعيـنون على ساحل (كـوشين) ولكن تبقى لآلئ هرمز أحس منها كلها.

فى سيلان يغوص الغواص من اجل هذه اللآلئ والتى توجد الصغيرة منها فى القـاع اما الكبيرة فهى (تعـوم الى السطح) ولا يرتدى الغواص اى شيء ويحمل معـه سلة مربوطة فى جسمه ويضـع فيـها المحار الذي يجمعه على عمق عشرة الى عشرين باعاً.

وعندما يخـرج من الماء يضع المحار على ظهـر السفينة ـ بعـدها يقوم الرجال بوضـع هذا المحـار فى الشمس حتى يـجف ويؤدي ذلك الى فتح المحارة وبذلك يأخذ الرجال بجمع اللآلئ الصغيرة منها.

فى نهاية موسم الغوص يعود البحارة وربابنة السفن ومراقب ديوان الملك الى اليابسة وتوزع اللآلئ الى مجموعات واحدة منها للملك والثانية لربان السفـينة والثالثة (للاباء اليـسوعيين) والذين يقيـمون هناك وهم الذين قاموا بالتبـشير المسيحى فى البلاد اما الجزء الرابع والمتـبقى فهو الى البحارة..

توزع هذه المجموعات بـصورة فيها العدل والمساواه للـجميع ويخرج الناس فى موسم الصيف فقط ولا يمر عام دون ان يغرق احد الغواصين عند مصـائد الملك الواقعـة عند رأس كومـرين وكثيـراً ما ينتـهى موسم الغوص ببكاء النساء والاطفال الذين فقدوا ازواج او اقارب لهم.

ومع ذلك فأن نفس العـمل يأخذ مجراه ويخـرج الناس للغوص وذلك بدافع من البرتغاليين الى جانب انـه لا توجد وسيلة اخرى لديهم لكسب الرزق.

ويغـامر الناس بالغـوص لانه ورغم المصـاعب يحـصلون على اللؤلؤ والكثير منه احيانـاً ولكن لا يمنع ذلك انهم احياناً لا يحصلون على شيء ابداً.

يسـمى الهـنود المحـار الذي يحـتـوى على اجـود لـؤلؤة (جـريبـو) ويستخدمون هذا المحار فى صناعة الاكواب والملاعق.

ويقوم تجار اللؤلؤ بتصنيف اللؤلؤ بفصل الاحجام المتشابهة بواسطة

(منخل نحاسى) وتباع الاحجام المتساوية بنفس السعر فى كل حالة وترتفع الاسعار كلما كبرت الاحجام وهكذا حتى ثمانية احجام اما الباقى والذي يعتبر اصغر حجما من الجميع فأنه يباع بالأوقية وتسمى هذه الاحجام (الجوفر) (او اليوفار) ويشتريها البرتغاليون ويحملونها معهم الى البرتغال والبندقية ـ ويقوم الهنود بتلميع اللآلئ باستخدام الارز المجروش مع الملح ـ وهناك نوع آخر من المحار يسميه الهنود (جانكا) ويسميه البرتغال ام المحار وتستخدم هذه الانواع للزينة او آنية للشراب. وتطلي البعض منها وتزين.

وتستخدم فى الهند فى صناعة الاثاث الخاص، بالبحارة او ادوات الزينة او حتى اجزاء من ام المحار تستخدم فى اغراض منزلية كثيرة، والبعض منها يصل الى البرتغال لنفس الاغراض. مع استخدامات نسائية فى صناعة الحلي فى الهند والتى تلبسها كل النساء دون تفرقة.

وتكثر السلاحف فى الهند وتستخدم عظامها فى صناعة الامشاط والاكواب والأواني وتلاقى هذه التجارة رواجا كبيرا فى الهند اكثر من تجاره ام المحار وخاصة بعد طلائها وتلميعها.

الالماس

تسمى العرب هذا الحجر النفيس الماس ويسميه الهنود ايدا واهل ملقا ايتام ويتواجد الالماس فى مملكة ديكان وراء بالجات قرب مدينة بيسنجار ويتم التنقيب عنه فى ثلاثة جبال هناك.

يقوم ملك بيسنجار بمراقبة عمال مناجم الالماس ويشترط عليهم

اعطاءه اية ألماسة يكون وزنها اكثر من عشرين مانجالينز (كل مانجالين اربعة قراريط) وكل من يخالف ذلك يقتل.

وفى مملكة ديكان هناك جبل آخر يسمى (الصخرة القديمة) ومنه تنقب اجود انواع الالماص والتى تباع بأغلى الاثمان والتى يستطيع قاطعو الالماس وتجار الجواهر من التعرف عليها وفصلها عن الانواع الاخرى.

يباع الالماس فى مزاد فى مدينة لا يسبور فى مملكة ديكان الواقعة بين جوا وكامبايا.

ويتوافد البانيان والكجرات على هذه المدينة لشراء الالماس ويأتون به الى جوا وهم تجار ماهرون فى هذه التجارة ويستطيعون خداع امهر تجار الجواهر.

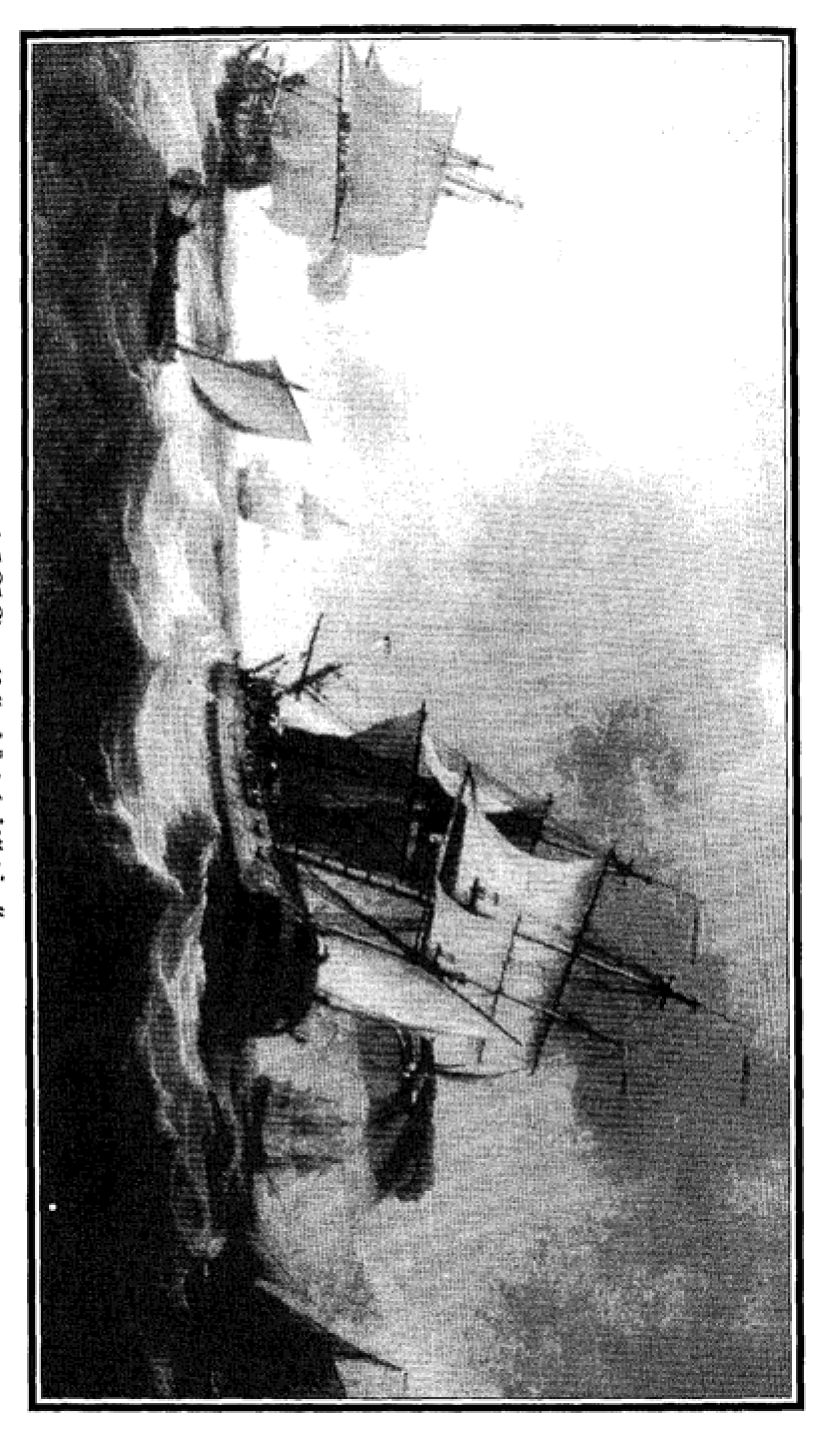
بهذه المعلومة عن الاحجار الكريمة سينتهى ما لدينا من اوراق خاصة بالمؤرخ الهولندي جون هيو لنيخوتن والتى قمت بترجمتها كاملة على أمل ان احصل على المزيد من هذه المعلومات لكي اكمل العمل المذكور حتى يكون فى متناول القارئ باللغة العربية كاملا فى المستقبل.

العلاقات الانجلو برتغالية
(تشارلز بوكسر)

لن يكتمـل العمل فى ترجمـة الموسوعـة البرتغاليـة فى تاريخ الخليج والتى احتـوت على معلومـات من (سيرة بيـدرو تيخسـيرا ـ ودوارتي بربروسا ـ وجون هيو لينخوتن) ولن يكون هذا العمل كاملا ما لم نقدم معلومـات عن العلاقات الانجلو برتغـالية والتى كان الطرف الأول فيـها السبب الرئيسى فى طـرد البرتغال من الخليج وانحسار امـبراطوريتهم وانهيار اساطيلهم التجارية فيه.

لذا ومن اجل ذلك سوف اقـوم بترجمة مـقالة لتشارلز بوكـسر تحدد هذه العلاقـة المذكورة آمل أن تسـاهم فى اعطاء المعلومـات اللازمة وان تكمل الصورة المطلوبة لتاريخ البرتغال فى الخليج.

د. عيسى أمين



السفن الانجليزية في الخليج (1616م)

مقالة تشارلز بوكسر فى التنافس الانجلو برتغالي فى الخليج 1635.1613

اننى اجد نفسى مضطراً لذكر الاسباب التى دعتنى الى التطرق الى هذا الموضوع ـ وخاصة انه لم يخطر ببالي قط بأني سوف اختار هذا المجال من التاريخ الدولى كموضوع لحديثي من بعض الامور الآسيوية والتى طلب منى البروفيسور برستاج التحدث فيها.

ولقد كان اختياري هذا صدفة لم اتوقعها وخاصة بأننى اكتشفت بعد مباشرتى العمل فى هذا المجال بأن العلاقة بين القوتين المذكورتين وصلت الى قمتها فى التنافس والتناقض ابان الحروب البحرية فى بحار الهند لتعود وتستقر نهائياً الى عام توقيع اتفاقية الصلح فى عام 1635.

عدا بعض المناوشات البحرية حول بومبي او الرسائل ذات الصيغة الاحتجاجية والمتبادلة بينهما. اننى على دراية تامة عن احداث بومبي 1661 ـ 1965 وكذلك الدور المؤسف الذي لعبه الانجليز ضد البرتغال فى حروب مهراتا المشينة.

ولكن لقد اخترت موضوع التنافس الانجلو برتغالي فى الخليج موضوعا للبحث لانه ولغاية الآن كان الجميع ينظر الى وجهة النظر البريطانية فى هذا المجال بينما اخترت انا دراسته من وجهة نظر الطرف الآخر او على الجانب الآخر من الجبل تدعونى الى ذلك احداث تكاد تتشابه فى رومانسيتها لدى الطرفين من ايام سورات فى الهند.

انني اود ان اسجل مصادر البحث والتى لا اعتقد ان الباحث فى التراث الانجليزي سوف يجد صعوبة الحصول عليها فلقد وجدت هذه المعلومات بعد صبر ودقة فى مخطوطات مثل مخطوط صموئيل برجاس (الحجاج) والذي طبع فى لندن فى عام 1625 وفى جلاسجو 1905 ومخطوط السيد وليام فوستر (المحطات الانجليزية فى الهند) والذي اهم اجزائه تلك الخمسة التى تغطي الفترة الزمنية 1618 ـ 1636 وطبع فى اكسفورد 1906 ـ 1911 هذا الى (جانب اوراق المستعمرات البريطانية فى الهند الشرقية) لسنوات 1615 ـ 1634 (طباعة لندن 1862 ـ 1892) ـ الخاصة بالسيد نويل سانبرى. وكذلك كتب السيد ويليام فوستر فى نفس المجال.

ولو رجعنا الى المصادر البرتغالية فأنه اصبح من الصعب علينا مقارنتها من حيث الكم والمحتوى مع المصادر الانجليزية وحتى الدقة فى المعلومات ومع ذلك نستطيع استخدام كتاب (المانسون) والمطبوع فى لشبونه بواسطة اكاديمية العلوم 1880 ـ 1893 والذي يغطي النصف الثاني من القرن السابع عشر.

تغطي هذه المعلومات او تحتوى على الرسائل المرسلة من لشبونه الى الهند وقليلة تلك الرسائل الواردة من الهند الى البرتغال والتى نعتقد بأنها ربما تكون ذات فائدة اكبر بالنسبة لهذا البحث.

وتعتبر مذكرات (الهيدالجو) دون جراسيا دى سيلفا فيجورا الاسباني (والذي كان سفيرا لاسبانيا فى بلاط الشاه عباس الكبير) من الاوراق المهمة.

اذ أن هذه المذكرات تـغطي فترة حـصار هرمـز ولكن يجب ان نعلم ان الدون جراسيا كان كما لو استـخدم مادة الخل بدل الحبر فى كتابه هذه المذكرات لكرهه الشديد للبرتغال، ولذا نجد انه لا توجد طبعة بالبرتغالية لهذه المذكرات.

طبـعت الطبـعة الأولى مـن هذه المذكرات فى مـدريد عـام 1903 مع وجود ترجمة فرنسية لهـا منذ عام 1667 (وتم بالفعل طباعتها بواسطة ابراهام. دى ويكفورت فى باريس).

وانه وبطبيعه الحال تحتل احـداث هرمز فى عام 1622 الجزء الاكبر والهام من كتابات ذلك الوقت حيث كانت تلك الاحداث سببا فى المنعطف السياسي الذي حدث فى العلاقات بين الانجليز ـ والبرتغال فى الخليج.

ولقد غطى مـخطوط روى فيريـرا ـ دى اندرادى والذي طبع اول مرة فى لشبـونه 1647 احداث تلك الفتـرة وما سبقـها والى ما انتـهت عليه الحال.

لقد ترجم ذلك المخطوط فى لندن 1929 الى الانجليزية ولكن ولطبيعة البنية الادبية وعدم دقة المعلومات لا نستطيع ان نرجع الى هذا المخطوط كلية دون غيره فى دراسة تلك الفترة الزمنية.

ان الاخطاء المرتكبة فى هذا المخطوط نستطيع اكتشافها لو قارنا نفس الاحداث فى مراجع انجليزية والتى سجلهـا لنا برجاس وفوستر او فى كتـاب لو يزمـارينهو المطبـوع فى لشبـونه عام (1641) والذي يحـمل عنوان الدفاع عن سمعة وذكريات د. فرانو.د. البوكيرك حاكم الهند.

والذي كان حـاكمـا للهند فى عام 1619 ـ 1622 والـذي ساند روى فيريرا فى نشاطه الحربى ضد الفرس والانجليز فى الخليج.

ومع ان هذا المخطوط لا يحتـوى على المعلومات الـكثيـره الا انه على مايوجد فيه فانه ادق من يوميات روى فيريرا المذكورة سابقا.

فى عام 1896 طبعت ذكريات السيد لوسيانو ـ كـورديرو سكرتير الجمعيـة الجغرافية فى لشـبونه واتخذ من كتابات لورينسو كـراسبيك مرجعا اعطاه كل الاهتمام الذي لا يستحقه ـ وقام السيد كورديرو بطباعة كتاب آخر اسماه قادة الهند (1898) والذي احتوى هذه المرة على احداث الخليج فى سنوات 1623 ـ 1629 ـ وهناك مصدر آخر يتحدث كاتبه الرحالة (بيترو. ديلا فال) والذي زار منطقة الخليج فى (1625) وتحدث عن الشخصيات المهمة والاحداث المهمة انذاك.

وترجم هذا الكتاب الى الانجليزية تحت عنوان (الاسفار) فى لندن 1665 واعيدت طباعته فى عام (1891) ـ اما بالنسبة للفترة الزمنية 1625 ـ 1635 فى المصادر البرتغالية فهى محدوده جدا عدا مصدر واحد لا نستطيع الاعتماد عليه وهو مخطوط فارييايا ديسوزا (اسيا البرتغالية) والصادر فى عام 1675 وبعض الكتب التى كتبها القساوسة ورجال الدين الذين زاروا المنطقة.

ولكن هناك تغطية تاريخية جيدة للحروب التى دخلها الحلف الانجلو هولندي ـ ضد القوى البحرية البرتغالية فى الخليج (فى فبراير 1625) والتى كانت بقيادة نونو الفاريز بوتيلو لقد ضاعت اغلب المعلومات والاوراق التى كانت فى خزائن دائرة الارشيف البرتغالية (الكاسا ـ دى انديا) دار الهند ـ فى الحريق الذي تلا الزلزال الذي ضرب البرتغال فى عام 1755 واتى النمل الابيض على باقى الوثائق المخزونة فى مكاتب

جـوا ومع ذلك فأن الفـضل يرجع للمتـحف البـريطاني للمحـافظة على الوثائق والمراسـلات التي تغطي جزءا من تلك الفـترة المذكـورة. وكذلك الابقاء على المخطوط المسمى معلومـات من الهند الشرقية (والذي يغطي الفتـرة الزمنية 1631 ـ 1643) للمؤلف انتـونيوباركو والموجود حـالياً فى مكتبة سلون فى المتحف البريطاني.

هذه المخطوط يحتـوى على الاوضاع السيـاسية والاقتـصادية لمدينة جوا فى عـام 1635 ويصف بالتفـصيل المراكـز البرتغـالية فى مـسقط وكونج والبصرة وكل المناطق الاخرى التى زارها البرتغاليون الى جانب الخرائط التفصيلية للقـلاع البرتغالية انذاك ـ ومع كل المصادر المذكورة سواء كـانت انجليزية او برتغالية يـجب ان لا ننسى الطرف الثالث وهو الطرف الهولندي والمتربص فى ميـاه الخليج لنتائج المعارك بين الطرفين السابقين.

لقد كتب هندريك هاجينار فى عام 1646 معلوماته عن زيارته للخليج فى الاعـوام 1632 ـ 1633 وكـذلك مـخطوط أ ـ هورتز والمطبـوع فى ليـدن (1907) وكـتـاب البـحـار كـورنيلوس ـ روبـيكر والذى خطط المسـارات المائية فى الخليج اثنـاء رحلته من (جـامبـرون) الى البصـرة (1645)

وفى الختـام لابد ان نعود انصافـاً للحق الى بعض المراجع الفارسـية والعربيـة ولكن اجد نفـسي عاجـزاً عن الرجوع الى هذه المصـادر لعدم مقدرتي بالتـعامل مع اى من اللغتين (العربية والفارسـية) ـ هكذا يقول المؤلف ـ ويمكن فى هـذه الحـالة الرجـوع الى كـتـاب ارنولدويلسـون

(الخليج الفارسي) وبعض الخرائط البحرية التابعة للأدميرالية الانجليزيه للتعرف على بعض المواقع الساحلية.

لقد كانت صحيفة التايمز عدد 1934 آخر من كتب فى هذا المجال وربما تكون مصدرا جيدا لبعض المعلومات عن احداث جرت فى بلاد مجهولة بالنسبة لنا قبل ثلاثمائة عام بين الانجليز والبرتغاليين.

ابتدأ القلق يسيطر على البرتغاليين مع بداية عام 1612 حيث كان هذا العام هو بداية للعلاقات التجارية بين الانجليز والفرس.

هذه البداية للعلاقة التجارية الانجلو - فارسية كانت بالنسبة للبرتغاليين تدخل في الاحتكار التجاري والذى سيطروا عليه في جميع مناطق الخليج لقرن من الزمان.

ورغم الاكتفاء التجاري والمتمثل في المراكز التجارية في سورات والمعارضة الشديدة لسفير الملك جيمس الأول (السير توماس رو) في بلاط الحاكم المغولى العظيم في التوسع التجاري في فارس فان نشاط روبرت شيرلى في بلاط شاه فارس اثار القلق في قلوب البرتغاليين في جوا ولشبونه.

وترقبوا وراقبوا هذا النشاط الدخيل حتى انه بعد عودة شيرلي من بلاط الشاه عباس الى لندن وبلاط اسبانيا في عام 1612 ارسلت رسائل تحذيرية عن نشاطه الى نائب الملك في الهند (دوم هيرونيمو ازفيدو) مع السفن القادمة من البرتغال الى الهند.

ارسلت نسخ من هذه الرسائل التحذيرية عن طريق اليابسة الى كل المراكز البرتغالية ووصلت نسخة منها الى جوا في نوفمبر 1613، في

هذه الرسالة يطلب ملك البرتغال من نائبه في الهند بمنع (السير روبرتو) – هكذا كان يطلق على السير روبرت شيرلي – بأية طريقة من الوصول الى فارس.

بمجرد وصول هذه الرسالة الى جوا تم اعداد اسطول برتغالي تحت قيادة دوم لويز ديجاما للتوجه الى قلعة هرمز كقائد لها على ان يقوم بالقبض على السير روبرت شيرلى باية طريقة كانت.

لقد كلف ديجاما بالتوقف في (لارى بندر) – ديول – سند – في مدخل نهر الاندوس حيث وصلت جوا اخبار بوجود السير شيرلي وزميل له في هذه المنطقة على ان يقوم ديجاما برشوة حاكم البلدة (بإعطائه مبلغ 6000 برادوس) لكى يساعده في القبض على شيرلي وحتى محاولة مضاعفة الرشوة اذا ما وافق على قتله.

ولقد ارسل نائب الملك في الهند هذه المعلومات الى لشبونة مؤكدا ثقته في امكانية ديجاما من الوصول الى السير شيرلي وذلك بسبب صفاته الشخصية ولسهولة رشوة الحاكم المسلم لهذه المنطقة (مثل كل الحكام المسلمين). هذا الى جانب عدم مقدرة السير شيرلي من اغراء الحاكم المذكور برشوة اكبر.

ولكن لم يتمكن ديجاما من تنفيذ خطته فقد غادر السير شيرلي المنطقة قبل وصول الاسطول البرتغالي في يناير 1614.

وتمكن شيرلى من الوصول الى بلاط الشاه عباس عن طريق بلاط الشاه جانكير في (اكرا) ومن ثم طريق كندهار ولكنه فقد مرافقه السير توماس بوول (سفير انجلترا لبلاط الشاه عباس) وعددا من افراد المجموعة المرافقة بعد مناوشات مع السلطات الهندية.

«ان الشاه عباس يفضل الاوطان الانجليزية على البرتغال».

هكذا وصلت انباء شيرلى من بلاط الشاه عباس الى رئيس المركز التجاري الانجليزي في سورات والذى قرر ان يلغي قراره السابق ويفتح سوقا تجارية انجليزية جديدة مع فارس.

لقد كانت الظروف مواتية الآن، فقد خسر البرتغال معركة بحرية قرب سوالى في 1610 وفقدوا مصادر المياه من ميناء جامبرون في يناير 1615 عندما قامت قوات خان لار بطردهم من قلعة جامبرون (بندر عباس)، وقطعت مصادر المياه عن هرمز.

هذه الاحداث مجتمعة كانت عاملا مشجعا لشركة الهند الشرقية والتى قررت ارسال ممثلين الى اصفهان في عام 1615 لعقد اتفاقية مع شاه فارس.

وبعد هذه الاتفاقية ابحرت اول سفينة انجليزية (التايمز) في عام 1616 من سورات الى الخليج وتبعتها سفن اخرى. وبرغم اعتراض البرتغاليين لهذه السفن ولهذا التدخل الانجليزي استطاعت انجلترا ان تفتح مركزا لها في جسك عام 1619 والذى اصبح وعلى مدى ثلاث سنوات اول مركز تجاري لشركة الهند الشرقية في فارس.

انه جدير بالذكر بأن الوكيل الانجليزي في مركز سورات التجاري قرر ارسال مبعوثيه وسفنه الى فارس بعد ان تأكد بأن السير روبرت شيرلى قد غادر بلاط الشاه عباس الى جهة اخرى حيث ان وجوده ربما منع اي اتفاق انجلوفارسي او جعل منه صعب المنال على حسب قول الانجليز آنذاك ولهذه المقولة خلفيات سياسية وقعت على الاراضي الشمالية في فارس حيث ارسل الشاه عباس السير شيرلي ممثلا له الى

جوا بعد عامين من محاولة البرتغاليين من القاء القبض عليه او حتى دس السم له او قتله.

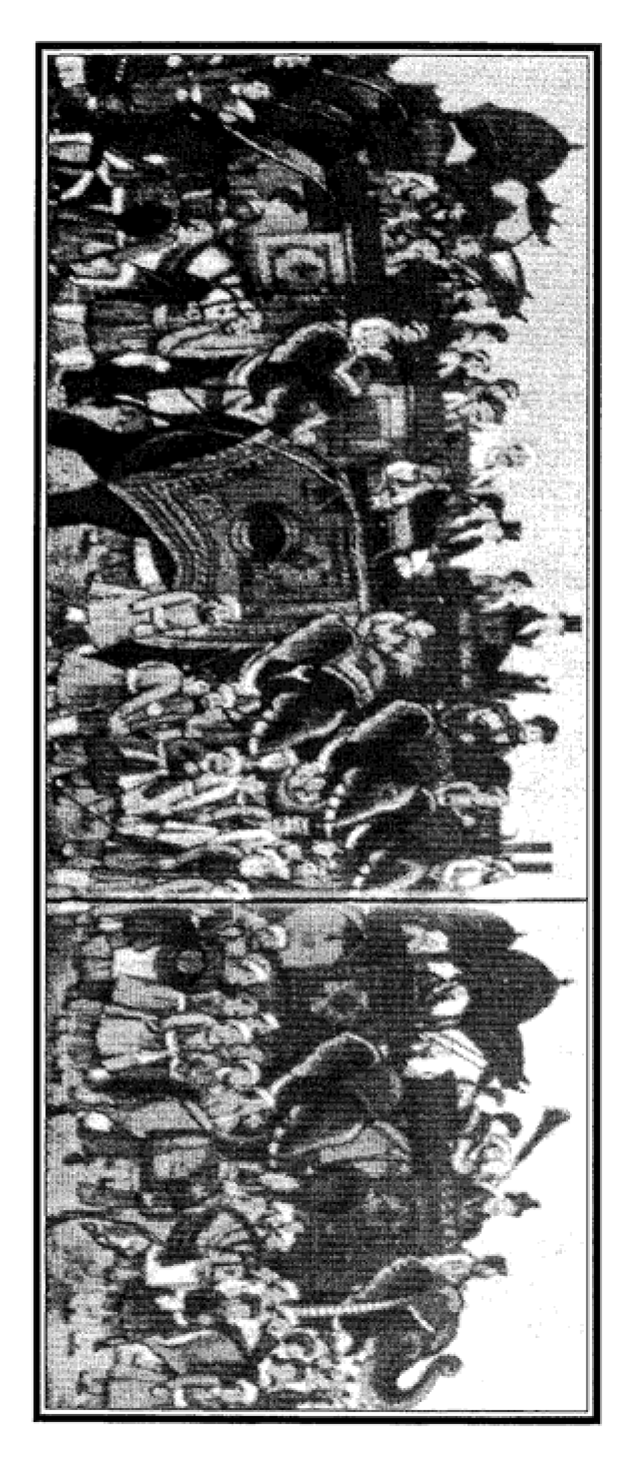
لقد كان السبب في ارساله الى جوا حاجة الشاه الى منافذ تجارية ووسائل نقل لبضائعه وخاصة الحرير بعد ان تقدم السلطان التركي الى الحدود الغربية لفارس. ورغم ان الشاه عباس قد تمكن من استرداد تبريز ونهاوند من الاتراك وأمن ولو الى حين المناطق الشمال غربية لفارس في (1605) ولكن ما تبع ذلك من حروب ترك - فارسية اثرت بصورة رهيبة في تجارة الحرير الفارسى والذى كان ينقل الى اوروبا عن طريق اليابسة آنذاك، ولو علمنا ان هذه التجارة كانت حكرا على البلاط الفارسي فقط فإننا ندرك حينذاك اهمية العائدات المالية لها واهم من ذلك ايجاد سبيل آخر لتسويقها.

سيطر الاتراك على طريق اليابسة التجارية الى اوروبا وسيطر البرتغال على الطرق البحرية.

وكانت هرمز شوكة في عين الشاه عباس يريد التخلص منها منذ بداية عهده ولكن ومع هذا الوضع السياسي الجديد اضطر الى مفاوضة البرتغاليين من اجل ايجاد طريق بحري لتجارته ومواصلة حروبه مع الاتراك.

وعلى هذا الاساس ورغبة من الشاه عباس في المفاوضة من موقع القوي فانه قام باحتلال البحرين 1602 ومصادر المياه وقلعة جامبرون في 1607 - 1615 والتى تعتمد عليها هرمز كمصدر مائي وحيد آنذاك.

وارسل في نفس الوقت سفراءه الى البلاط الاسباني واعدا باعطاء



دخول ممثلي شركة الهند الشرقية (الانجليزية) الى بلاط الحاكم المغولي في اكرا

صلاحيات تجارة الحرير الفارسي للبرتغال وجعلها وقفا عليهم فقط اذا ما هم ساعدوه في كسر الطوق التركي حوله.

ارتبطت علاقة الشاه عباس في هذه الفترة تجاه البرتغاليين ارتباطا كليا بمدى انتصار جيوشه على الاتراك فانه ما ان يحقق انتصارا على القوة الاخيرة يبدى كرها وعدوانا تجاه الاولى وهذا ما اضطره بعد انتصارات على الاتراك الى دخول البحرين وانتزاعها من (الشاه الدمية) شاه هرمز، لقد عرض شاه عباس امتيازات تجارة الحرير الفارسي على البرتغاليين عدة مرات وفي مختلف المجالات فهو قد ارسل سفراءه الى البلاط الاسباني في الوقت الذى ارسل روبرت شيرلي الى جوا، وكان من بين هؤلاء الرسل الأب انتونيو. دي. جويفا والاخوة شيرلى (روبرت وانتونى) وآخرهم سفير فارسي د. ينجس بك في 1608.

ادرك الاسبان لعبة الشاه عباس وكانوا على دراية تامة بظروفه السياسية ومواجهاته للاتراك ولكن وبعد الحاح من السير روبرت شيرلي تم ارسال مبعوث ملكي اسباني الى بلاط الشاه للمفاوضة وبشرط مسبق هو ان يتخلى الشاه عباس عن البحرين وجامبرون الى ملك هرمز.

غادر المبعوث الاسباني (وممثل البلاط) الدون جراسيا دي – سليفا – يافيجورا لشبونة في ابريل 1614 (حاملا معه هدية غير عادية) ويرافقه عدد كبير من المرافقين. ولقد كان اختيار هذا المبعوث بطلب من الشاه عباس الذى اصر على ان لا تبعث له اسبانيا رجال الدين لانهم «مثل السمكة عندما تخرج من الماء» والمعروف ان اسبانيا او البرتغال كانوا يختارون رجال الدين كرسل للبلاط لتمكنهم من اللغة.

وصل الدون جراسيا في شهر نوفمبر من نفس العام الى جوا ولم يحسن البرتغاليون استقباله ولم يجد متعة في لقاء السير شيرلي والذى كان في جوا في مارس 1616 مبعوثا الى البلاط الاسباني بواسطة الشاه عباس.

لقد كان الوضع السياسي والمتميز والحرج للشاه عباس آنذاك واضحا في ما كتبه ممثل شركة الهند الشرقية في سورات سير توماس رو والذى قال «اما انه يعقد الصلح مع الاتراك او يزداد تصميما لما يقوم به تجاه الاسبان».

ولكن كان الشاه عباس اكبر من ذلك وأدهى في سياسته فقد ارسل السير شيرلي الى جوا واسبانيا في 1615 مع مطلق الصلاحيات في عقد الاتفاق الذى يشاؤه، في نفس الوقت اوقف الشاه عباس مفاوضاته مع مبعوث ملك اسبانيا دون جراسيا دى – سيلفا محتجا على طلب اسبانيا ارجاع البحرين وجامبرون الى ملك هرمز كشرط للمفاوضات.

في الحقيقة كان ظهور الانجليز في مياه الخليج كقوة مناوئة للبرتغاليين مع احتمال ميلها الى جانب الشاه عباس في حلف انجلو – فارسي هو السبب الرئيسي في فشل محادثات اصفهان الاسبان – فارسية.

وسقط قناع الشاه عباس مع وصول سفن شركة الهند الشرقية الى ميناء جسك ومعها اكتشف الشاه الطريق الموازي لارسال ونقل حرير بلاده الى اوروبا.

مع دخول علم انجلترا في منطقة الخليج في 1616 وفتح الابواب

امامهم لتجارة فارس خلق جو من التوتر في الاوساط البرتغالية التى كانت ورغم ارسال سفير الى بلاط الشاه عباس تعد العدة لاحداث اسوأ اذا ما فشلت المفاوضات في اصفهان علما منها بان الانجليز لن يتنازلوا عن هذا المكسب الجديد ولذا فانه يتوجب على البرتغال الآن تحقيق الريادة البحرية في مياه هذه المناطق.

لقد كانت الغاية من تحقيق الريادة في البحر السبب الرئيسي الذى دعا البرتغال الى ارسال اسطولها القوى في 1619 من لشبونه الى الخليج وذلك لسببين رئيسيين الاول منهما مقاومة (القراصنة) الانجليز والثاني اعداد قلعة هرمز لأسوأ الامور (هجوم فارسي متوقع).

لقد كان قرار الشاه عباس بالسماح للانجليزي بالدخول في النزاع كطرف مؤيد ورابع زيادة على الاطراف الثلاثة والمتصارعة على الهيمنة السياسية والتجارية كان هذا القرار بداية سجل لرجال انجليز حملوا سيوف الملك جيمس في وجه القادة البرتغاليين. ونحن اذ ندون هذا الصراع المذكور لا بد وان نذكر اسماء رواد هذا الفتح الانجليزي الذى نتمتع اليوم بنتائجه وبعد ثلاثمئة عام من حدوثه وفي نفس الوقت ان نذكر اسماء القادة من الطرف البرتغالي فقد كانوا خيرة قادة البحار من البرتغال وهم حملوا كذلك راية ملكهم الى مياه الخليج ولنفس الاسباب.

انه اصبح لزاما علينا ان نذكر القادة البرتغاليين والذين لعبوا دورا كبيرا في احداث تلك الفترة ويأتى في مقدمة هؤلاء القائد البحري روى فيريرا دي اندرادى.

في ربيع عام 1619 توجه روى فيريدا القائد البحري البرتغالي الى

ميـاه الخليج وكان آنذاك قـائدا لاسطول النجدة المرسل من لشـبونة الى هرمز.

ولد فيريرا في مـدينة بيجا في مقـاطعة النيتجـو – وكان والده جون فيريرا دى اندرادى والذى شغل منصـب الوزير الاول لحكومة البرتغال في الهند في العقد الاول من القرن السابع عشر وبذلك كان منصبه اعلى منصب قضائي وقانوني تابع للتاج البرتغالي.

لقد كان جون فيريرا صديقا حـميما للكاتب والروائي دييجو دوكوتو، ولذا نجد انه وفي بعض من كتاباته يذكـر الدور القيادي الذى لعبه روي فيريرا الابن الاكبر في معركة واحداث دامو. في عام 1607 توجه روى فـيريرا وبصـورة مسـتقلة في اول رحـلة له الى الهند في اسطول دوم جيـرونيمو كوتيـنو وكان يشغل منصبـا قياديا بصـفة مسـتقلة يتلقى بالمقابل (2000 من الريس) معاشـاً شهريا من الدولة. ولكن وللاسف لا توجد له اية صورة مرسومة وكل ما نستطيع ان نستدل به على هيأته هو ما ذكره لنا كـتاب برجاس نقلا عن خادم في شركـة جوا والذى كان يعرفه جيدا فهو يقول: «انه رجل طويل ومحترم قليل الكلام طيب المعشر قنوع وذو روح مرحة، وقد بقى في الهند عدة سنوات».

لقد امـضى روى فيـريرا ومنذ عام 1609 التـسع سنوات الاولى من وجوده في الـهند في قيـادة القوات البرتغـالية في منـاطق مختلـفة من السواحل الشمـال – غربية للهند مدافعا عن مـدينة شول وباسين ودامو ضـد المهاجـمين من امراء الدويلات المجـاورة، ومنذ عام 1619 وحـتى وفاته محاربا باسم ملك البرتغال لـلوجود الانجليزي وللدولة الفارسية في الخليج.

عندما عاد المؤرخ ديلافال من الخليج في احدى السفن التى توجهت الى الهند بعد سقوط هرمز ذكر الاعجاب الذى ناله روي فيريرا حتى من اعدائه رغم الاعمال اللاانسانية وسبل البطش والحرق والقتل التى اتبعها في معاملتهم وبالاخص بحارة السفينة ليون (انجليزية) عندما قطع رؤوس الجميع وارسلها الى جامبرون في 1625. هذه الاعمال المذكورة بقيت عالقة في شخصية روى فيريرا حتى بعد سقوط قشم وهرمز وتمثلت في الهجمات القاتلة التى قام بها على موانئ الخليج العربية والفارسية واعمال التنكيل ضد البحارة العرب والفرس.

لقد ترك لنا بعض المؤرخين معلومات وافية عن شخصية هذا القائد وتكاد بعض هذه المعلومات ان تكون رواية او حتى اسطورة اعطيت عوامل الحقيقة نتيجة احترام واعجاب كاتبها بروى فيريرا دى اندرادي.

كان احد المعجبين المؤرخ انتونيو بوكارو والذى قال انه في عام 1613 واثناء معارك دامو استطاع روى فيريرا ان يقطع جذع رجل بضربة واحدة من سيفه الى قسمين علوي وسفلي وانه اي فيريرا اصيب اصابة بليغة في بطنة اثناء معارك شول وكاد يخسر المعركة ولكن ونتيجة لاصراره استطاع الانسحاب التدريجي دون اية خسائر في صف جنوده.

لقد فتح هذا القائد والذى لم يبلغ الرابعة والعشرين منزله للفقراء من الجنود واسس بعد سقوط هرمز قوة بحرية ضاربة في مسقط من جيبه الخاص.

في عام 1615 عين قائدا لسفن بومبى وابحرت السفن المذكورة من

بومبي الى سـورات وهى في طريقها الى ديو في سـورات كان المطلوب من روى فيريرا تأكيـد الصلح المعقود مع نواب (رئيس سورات) والذى اثار عجبه رفض فيريرا اخـذ اية رشوة منه مثل باقى القادة البرتغاليين، ولكن وباصرار من هذا الحـاكم قبل منه شـال من الكشميـر اعطاه لاحد بحارته في فترة لاحقة.

وعندما عادت السـفن التجارية الى بومبي تبـعثر البعض منها نتـيجة العواصف البـحرية وذلك رغم ابقاء المصـباح الذى في مقـدمة سفـينته مشتعـلا طوال الليل كدليل لها. بعد هذه العاصفة اخـتطفت سفينتان من سفن الاسطول بواسطة القـراصنة فجاء العـقاب على الجنود جميـعهم وذلك بحلق ذقونهم.

ذاع صيت فيـريرا في كل مكان وخاصة في غرب الهنـد حتى انه بعد توقـيع السلام في 1615 جـاء المئات من المحـاربين (المهاراتا) لمشـاهدة روى فيريرا في مـيناء شول. ولقد قيل عنه انه الوحـيد الذى يستطيع ان يغرس روح الضـبط والربط في نفوس من فقـد الامل في تقويمهم وان يحولهم الى جنود ذوي قوة ومراس.

هذا وبينما كان اسطول هذا القائـد يُبنى ويُعد في تاغوس للابحار الى ميـاه الخليج كـان الانجليز قـد عرفـوا نسبـيا طريقـهم الى نفس المكان مـؤكدين ذلك بوصـول اول سفـينة لهم (التـايمز) في 1616 الى ميـاه الخليج، وتبعتها سفينة (النحلة) من سورات الى الخليج في العام التالي. ورغم وصول هذه السفينة خالية مـن البضائع الى فارس الا انها حملت السيـر ادوارد مونوكس والذى يعتـبر المؤسس للوجـود الانجليزي في

الخليج والذى يرجع الفضل لقلمه لتوفير المعلومات عن احداث الخليج لخمس من السنوات التالية.

لقد قرر الانجليز اثارة الدولة الصفوية ضد البرتغال واصروا على ذلك بتوقيع اتفاقية 1617 مع الشاه عباس والتى قام بتمثيل الانجليز فيها (السير ادوارد كونوك) كأول ممثل للنشاط التجارى الانجليزي في فارس والتى كان الانجليز يهدفون الى شيئين من ورائها: الأول، احتكار تجارة الحرير الفارسي كأغلى تجارة في العالم آنذاك، والثانى ازاحة البرتغاليين والمنافسين لهم في الخليج.

استطاع الممثل الانجليزي ادوارد كونوك اقناع الشاه عباس بطرد البرتغاليين وارجاع هرمز الى الارض الفارسية والاستقلال عن الخضوع للبرتغاليين والبقاء تحت رحمتهم.

في تلك الفترة المذكورة كانت اوضاع هرمز سيئة للغاية اذ بعد مرور سنين من الاهمال والفساد الاداري اصبح امر وقوعها في يد الفرس امراً هينا حتى ان المبعوث الاسباني الى بلاط الشاه عباس الدون جراسيا دى سيلفا عندما زارها بعد سنتين من التأخير في جوا (1617) وجد ان الحالة الدفاعية لقلعة هرمز سيئة للغاية واضطر إلى تغيير خطته القديمة والرامية الى المشاورات المشروطة مع البلاط الفارسي (شرط عودة البحرين وجامبرون الى ملك هرمز) واستبدل هذه الخطة بطلب مستعجل للقاء الشاه عباس اذ ربما يجد السبيل الذي يستطيع فيه توفير الوقت لصيانة وتحصين قلعة هرمز.

في اكتوبر 1617 اتجه المبعوث الاسباني الى فارس وقابل الشاه عباس في اصفهان.

بقى هذا المبعوث سنتين في فارس محاولا فيهما التوصل الى اتفاقية تعطي البرتغال امتيازات تجارة الحرير الفارسي ونقله الى اوروبا واستثناء الانجليز من كل ذلك.

ومع كل هذه المحاولات كان الشاه عباس قد قرر في قرارة نفسه كيفية سير الامور، فعاد المبعوث الاسباني دون تحقيق اي تقدم وكان الفشل في هذه المهمة مصدر لكآبته ولكن ليس بالقدر الذي اصابه عند وصوله الى هرمز مرة اخرى وادراكه الحالة السيئة التى تعيشها القلعة والخوف الذي اعترى قلوب البرتغاليين في الخليج من وصول الاسطول الانجليزي الى جسك مما ادى الى تأجيلهم خروج سفنهم الى جوا حتى ابريل عام 1620.

حاول المبعوث الاسباني البدء في تحصين قلعة هرمز واعدادها لحروب قادمة ولكنه لم يلاق اي تعاون من قائدها الدوم لويس - ديسوزا الذي كان مثل القائد الذي سبقه في هذا المركز (دوم لويز ديجاما) والمتهم بواسطة المبعوث الاسباني بمراقبة مراسلاته اثناء تواجده في فارس.

ورغم مخاوف البرتغال فلقد كان هناك اشخاص غيرهم (ومن الانجليز) لم يكن في اعتقادهم ان سقوط هرمز امرا سهلا كما يتصور البعض آنذاك فلذا نجد ان السيد توماس رو في الهند يكتب الى ممثل السيد روبرت شيرلي في اصفهان (السيد ويليام رونز) في اغسطس 1617 قائلا «انه من غير المتوقع ان تسقط هرمز ونتمكن من طرد البرتغاليين».

ويطالب في رسالة ثانية محاولة التفاهم والتفاوض مع البرتغاليين اذا يكشف في رسائله عدم ادراك البرتغاليين لنقاط ضعفهم ولكنه يؤكد مرة اخرى انه لا تراجع عن التجارة مع فارس ومع ذلك فان ممثل شركة الهند في سورات كان وحيدا في آرائه فلقد اتخذ كل من مونوكس وباركر وكونوك آراء اخرى تؤكد امكانية هزيمة البرتغال.

استطاعت السفينة (البعثة) الانجليزية والتى وصلت الى جسك 1618 مع السفينتين البرتغاليتين اللتين صادرتهما في البحر ان تغطى على السفينة الانجليزية التى سبقتها (النحلة) والتى وصلت في 1617 خالية الوفاض فقد وكانت السفن البرتغالية تساوي آنذاك الفين الى ثلاثة آلاف جنيه استرليني قدمتا هدية الى الشاه عباس.

سقط قناع الشاه عباس ودعي ممثلى شركة الهند الشرقية الى وليمة رسمية في اصفهان بعد استلام رسائل من الملك جيمس بيد هؤلاء الممثلين.

ولقد كانت الوليمة فاخرة وفيها مظاهر البذخ ودعي اليها سفراء اسبانيا وتركيا والهند وروسيا والتاتار والاوزبك وكانت مناسبة يعلن فيها التحالف الانجلوفارسي حتى انه يقال ان الشاه عباس وتحت تأثير النبيذ همس في اذن الممثل الانجليزي بأنه عازم على دخول هرمز واعطائها للانجليز الامر الذي اكده الانجليز بعد ذلك بقولهم ان وعوده لم تقابلها اعماله.

وقد طلب الشاه عباس آنذاك من زيادة الواردات الانجليزية الامر الذي وافق عليه ممثلو شركة الهند وخاصة امكانية تعرض السفينة

الواحدة لهجمات برتغالية بينما سوف يكون الاسطول في مأمن من ذلك.

لقد بلغت انباء استعدادات البرتغال لارسال اسطولها (بقيادة روي فيريرا) شركة الهند الشرقية فارسلت من لندن تحذيراتها لممثليها في سورات وبناء على هذه الانباء الواردة قرر ممثل الشركة في سورات ارسال كل الاسطول الانجليزي (والذي وصل الى هناك من انلجترا) الى الخليج وبالفعل تم ارسال هذه السفن الى جسك في نوفمبر 1619 وعادت بعد ان رافقتها السفينة (ليون) الى سورات مرة اخرى في يناير 1620 دون اي اصطدام مع سفن الارماده البرتغالية بقيادة روى فيريرا.

لقد كان لوصول السفن الانجليزية الخمسة الى جسك في الخليج وقع الصاعقة على البرتغاليين في هرمز فقد سبب هذا الاستعراض الانجليزي حالة من القلق والخوف يذكرها مونوكس قائلا «كلما ازداد اعداد سفننا كلما تقلصت سفن البرتغال لقد اثار وصول السفن الانجليزية الى جسك الرعب في هؤلاء اصحاب قلوب الطيور (يقصد البرتغاليين) وشرعوا في هدم منازلهم وكنائسهم خوفا من احتلال الانجليز لها وتحصنوا في قلعتهم المنيعة واقاموا عليها المدافع».

وفي غضون هذه الاحداث وحالة الرعب السائد وصلت الارماده البرتغالية بقيادة روي فيريرا الى هرمز في يونيو 1920 بعد رحلة مليئة بالاهوال فقدت اثنائها احدى سفنه الكبيرة قرب مالندي وبعد توقف شتوي في موزمبيق تلتها فترة اخرى طارد فيها السفن العربية

والهندية في مدخل البحر الاحمر بحثا عن المخالفين منهم والذين لم يحصلوا على التصاريح البرتغالية، لقد كانت حالة جنود فيريرا مزرية حتى انهم لم ينزلوا من السفن الى قلعة هرمز قبل وصول بعض الغذاء والملابس لهم وقال الانجليز عنهم آنذاك «بانهم كانوا في خفة الريش» ومع ذلك ارسل ممثل الشركة في جسك رسالة الى سورات يقول فيها «لقد ازداد عدد البرتغاليين في الخليج ويبدو اننا لن نستطيع الحصول على حرير فارسي هذا العام دون صدام او صراع معهم ».

بعد وصول الارماده البرتغالية الى هرمز بقيادة روي فيريرا بادر فيريرا في اصلاح السفن وتزويدها وتسليحها قبل الانطلاق في نوفمبر 1620 الى جسك وذلك لمنع الانجليز من الحصول على حرير فارس (كانت الكمية المرسلة من جسك تساوي خمسمائة وعشرين حزمة أو باله من الحرير).

تشكلت هذه الارماده من سفينة القيادة ساوبيدرو وسفينة نائب القيادة ساومارتينو وسفينة ساو لورينسو والسفينة نوسا سنيورا وبنيت السفينتين الاخيرتين بواسطة صناع السفن في بلجيكا ـ هذا الى جانب مجموعة من السفن التي كانت تستخدم للتموين والاستطلاع.

بلغ عدد رجال الارماده الف من البحارة والمحاربين وعدد لابأس به من ضباط المدفعية.

وصل اسطول روي فيريرا الى المكان المطلوب امام جزيرة جسك وبعد انتظار شهر كامل لاحت في الافق سفينتان انجليزيتان ومعهما سفينة برتغالية صودرت في الطريق الى الخليج لقد كانت السفينتان

الانجليزيتان هما السفينة (هارت وايجل) ارسلهما القبطان البحري اندرو شيلنج قائد الاسطول المتوجه الى سورات وذلك تنفيذا لاوامر شركة الهند الشرقية قبل الوصول الى (سوالي) وبقيت معه السفينتان لندن وروبك ـ وما ان شاهد الانجليز سفن البرتغال الراسية قرب جسك حتى تخلوا عن غنيمتهم (السفينة البرتغالية المصادرة) وتوجهوا تحت جنح الليل عائدين الى سورات.

ما ان وصل شيلنج الى سورات ابلغه ممثلو الشركة خطورة الوضع الذي ستكون فيه السفينتان هارت وايجل وطلبوا منه (رغم تذمر البحارة وعدم موافقتهم في البداية) التوجه فورا الى انقاذ هاتين السفينتين في الخليج.

قابل شيلنج السفن الانجليزية والعائدة الى سورات وابلغه بحارتها عن استعدادات روي فيريرا وصعوبة الدخول معه في معركة بحرية وخاصة أنه يعتبر فخر البرتغال ـ رغم كل تلك المخاوف توجه شيلنج الى جسك ومعه كل السفن الانجليزية.

تقابل الاسطولان في مياه جسك يوم عيد الميلاد 1620 ولكن لم يباشر اي منهما المعركة وفي اليوم التالي خرج روي فيريرا في استعراض حربي قابله الانجليز برفع اعلام الحرب على سفنهم ـ وتقابلت وتجاورت سفينة القيادة البرتغالية (ساوبيدرو) وسفينة القيادة الانجليزية (لندن) واصبحتا على مسافة قريبة من بعضهما البعض، هنا شرب كل من القائدين على حدة وعلى ظهر سفينته نخب الآخر وقذفا بالاقداح في البحر انطلقت بعدها اصوات الطبول والابواق وابتدأت اول معركة فاصلة في الخليج بين الانجليز والبرتغال.

وانتهت قبل حلول ظلام ذلك اليوم ولكن بعد ان فجر الانجليز سفينة برتغالية مخطوفة كانت تحمل الخيول واصابت مدفعيتهم العدد الكبير من الجنود البرتغال بالجراح.

في اليوم التالي كانت الرياح في مصلحة البرتغاليين ولكنهم لم يهاجموا الاسطول الانجليزي والذي تمكن من نقل الحرير من مخازن جسك الى ظهر سفنه.

في اول يناير 1621 وصلت مجموعة جديدة من هرمز لمساعدة روي فيريرا وقرر بعدها (في يوم 7 يناير 1622) الدخول في معركة ثانية مع الانجليز وخسر فيها مرة اخرى روي فيريرا وذلك بسبب دقة جنود المدفعية الانجليزية واصرار فيريرا على الحرب من سفن راسية بعكس ما نصحه به قادته (وهو الحرب والسفن مرفوعة الاشرعة).

كان رفض فيريرا بالانصياع الى نصائح ضباطه سببا رئيسيا في هزيمته في معركة جسك فقد انقطعت حبال احدى سفنه واعترضت الطريق بينه وبين الانجليز فاصبح هو وسفينته المعترضة هدفا جيدا للمدفعية الانجليزية حتى الثالثة ظهرا عندما قرر فيررا قطع حباله والاتجاه غربا بعيدا عن مرمى المدافع الانجليزية الى ان جاءت سفنه الصغيرة لانقاذه بعدما تحطمت اجزاء كثيرة من اسطوله.

استطاع الانجليز مغادرة جسك الى سورات دون اي تدخل من البرتغاليين بعد ذلك ولكن بعد فقدان قائدهم نتيجة قذيفة من مدفع برتغالي وعشرة من القتلى.

اما خسائر البرتغاليين فقد كانت اربعمائة وثلاثون بين قتيل وجريح

وبلغت عدد القذائف الانجليزية اربعة الاف وواحد وعشرون قذيفة.

بلغت انباء هذه المعارك حاكم الهند فيرانو - دي - البوكيرك فقام باعداد سفن جديدة بقصد ارسالها الى الخليج وفعلا ثم اعداد سفينتين كبار (تورولوس) و(نوسا سنيورا فيكتوريا) ولكنه وجد صعوبة في اقناع البحارة البرتغاليين او حتى الاوروبيين في الالتحاق بهما وفي النهاية تمكن من تجنيد مئتين وسبعين بحارا من اللصوص والمساجين والمخالفين للأنظمة، وفي فبراير 1621 عاد الاسطول الانجليزي الى (سوالى) ومع عودته قرر البوكيرك ارسال سفنه الى هرمز (في السادس من ابريل 1621) محمله بالمؤون والذخائر ورسالة الى روي فيريرا يدعوه فيها بالاستعداد لمعركة شتائية قادمة مع الانجليز.

لم يهتم فيريرا بهذه التوجيهات فقد توجه لتنفيذ الغرض الثاني الذي ابتعث من اجله من البرتغال (وهو بناء قلعة قشم) لقد كان بناء هذه القلعة ضروريا الآن (وخاصة بعد سقوط قلعة جامبرون وفقدان المصادر المائية لجزيرة هرمز) اذا ان الطرف الشرقي من جزيرة قشم يحتوي على آبار مائية تستطيع تعويض هرمز عن تلك التى فقدت في جامبرون منذ اكثر من ستة اعوام.

لقد كان رأي فيرناو البوكيرك نائب الملك في الهند والدوم فرنسيسكو ديسوزا قائد هرمز ان يهتم البرتغاليون وخاصة روي فيريرا بالسيطرة والريادة البحريه للوجود البرتغالى في الخليج اذ بذلك سوف يتوفر الماء من قشم الى هرمز وسوف تكون المواقع البرتغالية في مأمن من هجمات الاعداء الانجليز والذين اذا ما ترك الامر لهم وتمكنوا من السيطرة على

مجـريات الامـور في البحـر وخاصـة في الخليج فان ذلك يعنى نهـاية الوجود البرتغالي فيه.

لم يهتم روي فيريرا بهذه التوجيهات مرة اخرى وعرض الامر الملكي ببناء قلعة قشم في اجتماع مـجلس ادارة هرمز وحصل على تأييد كامل بذلك - في 7 مايو 1621 غـادر روي فيريرا هرمـز متجهـا الى جزيرة قشـم يرافقـه الفان من الجنود البـرتغاليين المدربين وألـف من عسـاكر هرمز حملتهم جميعا ثلاث وثلاثون سفينة بين صغيرة وكبيرة وانتقلت مع هذه الحـملة كل المعـدات اللازمة لبناء قلعـة قـشم واخشـاب قطعت كنموذج لبناء القلـعة المطلوبة - في اليوم التـالي نزل الجنود الى جزيرة قشم والى مواجـهة مباشرة مع الجنود الـفرس المتمركزين فـيها ولكن وبعد معركة قصيرة ابتدأ فـيريرا في تشييد قلعته المطلوبة - والتى ما ان انتهى من بنائها حـتى حاصرتها القوات الفارسيـة تحت قيادة امام قلي خان هذا الحصـار الذي دام اشهرا استطاع خلالها روي فيريرا الاحتفاظ بكل قـوته وقيادته وارسـل في نفس الوقت السفن الصـغيـرة لمهاجـمة الموانيء الفارسـية التى حرق ودمر الكثـير منها الى جانـب مصادرة او حرق كل سفينة فارسية عابرة في طريقه.

ولكن وفي الحقـيقـة ادت هذه الاعمال الى تأصـيل الحقـد الفارسي وتعمـيقـه ضد البـرتغاليين وكـان الفرس ينتظرون الفـرصة المناسـبة للأنتقام.

ولطالما بقى روي فيريرا يملك القدرة البحـرية والتفوق العسكري فأن ذلك كان يعـنى للفرس استـحالة سـقوط قـشم ولذا قرروا انه قـد حان

الآوان لطلب العـون من الاسطول الانجليزي المتـوقع وصوله في شـهر نوفمبر او ديسـمبر من سورات الى جسك وعلى الجانب الـبرتغالي كان فيرانو البوكيرك ودوم فرنسيسكو ديسوزا يدركان اهمية منع اي اتفاق انجلو ـ فارسي ولذا طلبا من فيريرا ان يقاوم هذا التقارب بكل الاساليب المتوفرة وكـتب البوكيرك من الهند الى فـيريرا مؤنبا له عـدم الانصياع لأوامره وعـدم الاستماع لنصـائحه مؤكـدا له ان مهاجمـة الانجليز في (طوي) قرب مسقط او كما يسميـها البرتغال (سوالي) واغتنام الفرصة لمصادرة السفن الهولندية التى دخلت ميناء كورو وبندل اجدى به من ان يبقى محاصرا في القلعـة التى بناها رغم تحذيرات من رجل له من العمر سبعون عاما قضى اغلبها في هذه المنطقة وفي خدمة الملك.

رفض فيريرا مغادرة قلعة قـشم وقرر انه ليس لديه مانع في التوجه الى هرمز لـقيادة الاسطول ولكـن بشرط ان تطلق القلعـة قذيفـة مدفع واحدة اذا ما شوهد الاسطول الانجليزي.

في يوم عيد الميلاد عام 1621 وصلت تسعة سفن انجليزية الى جسك بقيادة القبطان بليث والقبطان ويدل فأرسل خان شيراز مهددا الانجليز بانه سوف يمنع عنهم تجـارة فارس اذا لم يوافقوه على الاشتـراك معه في حربه ضد البرتغالين وبتشجيع من الوكيل مونوكس وافق الانجليز على المشاركـة في هجوم بري وبحـري على البرتغـالين مع شروط تم الاتفاق عليها بين الطرفين.

اماهذه الشروط فكانت كما يلي:

الشرط الاول: تسليم قلعة هرمز الى الانجليز حال سقوطها.

الشرط الثاني: تقسم الغنائم بين الفرس والانجليز.

الشرط الثالث: اعفاء الانجليز من الضرائب الجمركية

الشرط الرابع: يكون الانجليز مسئولين عن الاسرى المسيحيين والفرس عن الاسرى المسلمين.

الشرط الخامس: ان تتكفل فارس بنصف مصروفات الحملة الانجليزية، وتم توقيع هذه الاتفاقية في كوهتساغ وقام الانجليز بنقل الحرير الى سفنهم خوفا من خداع الفرس لهم.

في صبيحة الخامس من يناير 1622 القت السفن الانجليزية مراسيها مقابل جزيرة هرمز.

اعتقد الربابنة الانجليز ان سفن البرتغاليين الراسية قرب القلعة سوف تخرج للحرب معهم ولكن لم يحدث ذلك.

ويقال ان الاشارة المتفق عليها ارسلت الى فيريرا في قشم ولكنه لم يسمعها.

ومع هذا التهديد الانجليزي لم يتحرك القائد الجديد للقعلة سيماو دوميلو ولا حتى قائد الاسطول المعين لويس دى برتو لمجابهة الخطر الانجليزي.

ومع علم الانجليز بوجود فيريرا في قشم قرروا البدء بقلعته فتوجهوا في الثامن من فبراير 1622 الى جزيرة قشم. وكان الهدف المعلن عنه «انقاذ البرتغاليين من حصار الفرس او من هزيمة مؤكدة».

عند وصول الاسطول الانجليزي الى قشم رفع البرتغـاليون سيوفهم في عملية تحـدي للوجود الجديد ولكن رفع احد العقلاء الراية الـبيضاء فنزل ممثل شركة الهند ادوارد مونوكس وقابل روى فيريرا الذي حاول اثارة العـواطف الانجليزية مـذكـرا مونوكس بالصـداقـة العظيمـة بين البلدين في السابق والمساعدات التى قدمتـها انجلترا للبرتغال ضد عرب شمال افريقيا (المقصود هـنا مساعده الانجليز للدوم الفونسو هنريكس مؤسس الملكية البرتغالية لطرد المسلمين من البرتغال في عام 1147).

كان رد مـونوكس بأنه لم يأت لمناقـشة امور حـدثت منذ زمن بعـيد ولكنه جاء لانهاء امـراكان السبب فيه روي فـيريرا عندما هاجم اسطول الانجليز قرب جسك وقتل قائده الخادم المخلص لملك الانجليز وعددا من الجنود التـابعين للأسطول وبعـد مناقـشـات حادة وافق فـيـريرا على الاستسلام للانجليز.

وطلب من مونوكس ان يرعى الانجليز امور الجنود العرب المرافقين له في قلعته فـاخبره مونوكس بانه وحسب الاتفـاق الانجلو ـ فارسي فإن العرب سوف يرسلون الى الفرس فـعلق فيريرا قائلا «اذا لابد ان نموت جميعنا معا» فأسـتطاع بذلك ادوارد مونوكس من الحصول على موافقة امام قلي خان (القائد الفارسي) على الابقاء على حياة الجنود العرب فلم يوافق فيريرا على ذلك وأصر على رأيه وانهى محادثاته مع مونوكس.

ما ان عاد مونـوكس الى سفينته حتى ابتدأ الانجليـز القصف المدفعي لقلعة قشم من جديد.

هنا طلب فيـريرا من جنوده الهجـوم على الفرس والموت معـا بشرف فتدخل الاباء اليسوعيون ومنعوا الرجال من اللحاق به.

بعدها عـادت المحادثات بين البرتغـاليين والانجليز مرة اخـرى بعد ان جرد الجنود البـرتغاليون قـائدهم من سلاحه والقـوا به في السجن في القلعة. وبناء عليه جردت الحامية من اسلحتها وارسل الجنود الى هرمز اما البؤساء من الجنود العرب فقد تم قتلهم جميعا بواسطة الفرس.

وقام جنود البرتغال في قشم بتسليم قائدهم الى السفينة الانجليزية ليون ومعه عدد من قادته وتم نقل الجميع سجناء الى سورات.

لقد عـامل الانجليـز فيريرا بكـل احترام وتقـدير برغم ما قـام به من عمليات حربية ضدهم.

من جانب آخر تبادل البرتغاليون الرأي في احداث قشم فكتب مطران جوا (دوم فري كريســتافو دي ليسبوا) الى فيرانو دي البـوكيرك قائلا «يا أيها السيد المبجل لا تفقد الامل ولا تيأس لما حدث في قشم لاننا وكما توقعنا منذ الـبداية اصبح حـقيقـة الآن فلقد سقطت القلعـة التى لم يتم بناءها طبـقا للمعـايير المعـروفة لانهـا كانت تنفـيذا لاوامر الـسادة في مجلس مدريد والبعيدين عن هذه المنطقة دون الرجوع لخبرتنا وآرائنا لا اســتطيع لوم الجنود لما فعلوه فـلقد ابلغنى الاخ مـيرانهـا (قسـيس من قشم) بأنه لولا منع الجنود للخروج في هجوم مع فريرا على الفرس في آخر لحظـة لكانت نتيـجة ذلك مذبحـة اكيـدة لكل جنودنا وفقـدانهم في معـركة خـاسرة لقـد كانت تصـرفات فيـريرا في هذا المرحلة تشـوبها البربرية ولـيس روح الاخاء المسيـحي وكانت تصرفـات اليائس وفـاقد الامل وليس البطل الشجاع.

لقد سـمعنا ورأينا وقرأنا عن مـعارك خاسرة وعن انســحاب الجنود

منهـا دون خجل وانه كـان الامر الـذي لا نقاش فـيه (وهو الاتفـاق مع الانجليز) لانه وبالنسبة لنا عشرة من جنودنا يساوون الآلاف من جنود شاه فارس..

على كل حال لقد انتهت الامور احسن من ما توقعت»..

اما عن هرمز فلاداعي للقلق انهـا في امان تام فلذا نطلب منكم ارسال قائدا جـيدا لها وقـائدا للاسطول هناك ولا تدع امور قـشم تؤرقك فانه ولطالما اصبحنا سادة البحر هناك فاننا نستطيع ان نأتى بالماء الى هرمز من أي مكان في جزيرة قشم دون اي اعتراض انجليزي لنا.

وانا اعلم يا سيـدي انك تدرك كل هذه الاشياء ولكن اجد نفـسي لزاما عليّ ان اذكرها لك ايضا واشــاركك في الرأي علما باني كنت متفـقا معك دائما.

اننى احمّل روى فيريرا كل المسئولية فهو الذي سبب العجز للدولة من اجل الحصــول على شرف بناء قـعلة وهو الذي اهمل الاسطول من اجل الدفاع عنها، ان صــاحب الجلالة في مدريد عليه ادراك الامــور كما نراها هنا وان يثق بنا وليس بحفنة من وزرائه في البلاط هناك».

بعد ايام من سـقوط قشم اتجـه الاسطول الانجليزي الى جامـبرون والى احتفالات اقامها خـان شيراز رغم عدم رضاه لعدم تسليم الانجليز روى فيريرا له شخصيا.

اعتـقد قائد هرمـز سيـامو دميلو بأنه بعـد جامـبرون سوف يتـجه الانجليز الـى سورات وخاصــة لأنهم حصلوا على الحـرير المطلوب من جسك ولذا كتب الى حاكم الهند يبـلغه ذلك ومؤكدا في نفس الوقت بأنه

يستطيع حماية الجزيرة ضد الانجليز والفرس (ربما كان هذا الاعتقاد مبنيا عل اساس ان الانجليز قد ارسلوا بالفعل بعض السفن الى سورات مثل السفينة الاسد وذلك لنقل فيريرا سجينا الى هناك).

ولكن وفي يوم السبت 19 فبراير 1622 لاحت في افق هرمز اشرعه السفن الانجليزية الست ومعها مئات من السفن الفارسية الصغيرة تحمل جميعها ثلاثة آلاف من المحاربين ومع حلول المساء كانت هذه السفن على بعد ستة اميال من القلعة. في اليوم التالي نزل امام قلي خان وجنوده الى مدينة هرمز دون ادنى مقاومة من احد.

فقد قائد هرمز سيماو دوميلو صوابه بعد رؤية سفن الحلف الانجلو فارسي ولم يحاول منع هذه السفن (كما ادعى سابقا) من الاقتراب من الجزيرة. (وكانت حجته في ذلك بان غلب جنوده فقدوا سلاحهم في معركة قشم) وتهدمت متاريس البرتغاليين والمقامة في ميدان مدينة هرمز وهرب جنود البرتغال الى القلعة. ورغم محاولات القائد الدوم كونسالو دي سلفيرا ولويس دي مورا فقد استطاع الفرس اقتحام المدينة ونهبها كلها.

لدينا عدة روايات عن سقوط قلعة هرمز ولكننا سوف نعتمد على المصدر الحقيقي والاكثر قرابة للواقع وسوف نعطي ملخصا لهذا الحدث الكبير.

لقد كان اهتمام الانجليز في البداية هو تحطيم الاسطول البرتغالي الرابض قرب قلعة هرمز وبالفعل تم تحطيم واغراق كل السفن البرتغالية عدا سفينة القيادة ساو بيدرو والتى اشعلت فيها النيران بواسطة فرقة

انتحارية انجليزية مما جعلها تمخر البحر دون ربان الى ان وصلت قرب ميناء جامبرون حيث غرقت مقابل الساحل.

كـان الجزء الثـانى من الخطة الانجليـزية يقـتضـي دك قلعة هرمـز بواسطة المدفـعيـة الثـقيلة ولـهذا الغـرض نقلت المدافع من السـفن الى اليابسة وابتدأ القصف المدفـعي الانجليزي والذي استطاع الفرس تحت غطائه من تلغيم القلعة وخاصة حصن سانتياجو..

في 27 مـارس 1622 استـطاع الفرس تفـجـيـر اول لغم لهم ورغم محاولة البـرتغاليين في منعهم من ذلك فلقد سقط جـزء من جدار القلعة ولكن لم يكن كاف لدخول الفرس اليها.

قام الانجليـز بامداد الفـرس بالبارود المطلوب للالغـام (عدا ذلك فـقد كانت المواد اللازمة لهذا الجيش الكبير ناقصة طوال الوقت) في هذه المرة استطاع الفرس نسف حـصن او برج سانتياجو وابتدأت النهـاية تقترب في 27 ابريل 1622 ومع ذلك وقف البرتغـاليون يدافعون على قلـعتهم ويقاتلون بكل اصرار ضد الـقوات الفارسية التى تكبدت خسـائر كبيرة في الارواح.

قاد الدوم كونسـالو دي سلفيرا الهجوم المضـاد ولكن ورغم المعركة بالايدي مع الفـرس لم يتـمكن من ازاحـتـهم من المناطق الجـدارية التى قاموا باحتلالها.

انتشرت الحمى وحالات الاسهال في سكان القلعة وبقيت جثث القتلى دون دفن وفريسة للقطط والكلاب وبؤرة للذباب.

في هذه المعـارك وحـرب المدفعـيـة قتـل او جرح الكثـيـر من الجنود

البرتغال واصاب الجوع والارهاق العدد الباقي ونضب الماء وبقى السمك المملح والارز في نقصان شديد، اشتد حصار الفرس للقلعة وقطعت سبل الاتصال واستحالة امكانية وصول اسطول انقاذ من جوا و اعلنت البقية الباقية من الجنود العصيان وطالبوا من قائدهم عقد الصلح مع الانجليز وان يأخذ طابع الجد هذه المرة وليس مثل تلك المشاورات التى ابتدأت منذ السادس من ابريل.

وبالمقابل كانت هناك مجموعة متطرفة طالبت بوضع النساء والاطفال والثروات في منزل ونسفه بالبارود حتى لا ينعم الفرس والترك (القازلباش) بثرواتهم ونسائهم بعدها سوف يهاجمون الفرس في عمليات انتحارية. وكان الدوم كونسالو داسلفيرا قائدا لهذه المجموعة المتطرفة ومع ذلك وقف بجانب قائده ضد المجموعة التى اعلنت العصيان.

امر سيماو دوميلو نائبه لويس. دي برتو بفتح باب المشاورات والمفاوضات مع الانجليز بشرط ان يرحل كل المقيمون فيها الى صحار ومسقط.

في 3 مايو 1622 سقطت هرمز في يد الحلف الانجلو فارسي وكان ذلك اليوم يوم القديس جورج.

استطراد :

لقد وصل لويس دي برتو (ابن عم فيرانو البوكيرك) الى هرمز مع السفينة المرسلة من (جوا تودولوس سانتوس) في ابريل 1621 بينما وصل سيماو دوميلو الى هرمز في نوفمبر 1621 واستطاع الحصول على مركز قائد القلعة بعد وفاة قائدها دوم فرنسيسكو ديسوزا.

لقد كـان سيماو دومـيلو قائدا لقلعة ممبـاسا سابقـا وقائدا لاسطول ملبار.

بعد سـقوط هرمز هرب دومـيلو الى مقاطعـة عادل شاه راجـا مدينة بيـجابور ومـن هناك الى كورو مندال ومـنها الى السـاحل القـريب في ساوتوما. وقتل لويس دي برتو في جوا 1622 لخيانته.

لم تشـارك السفن الـتى اقلت روي فيـريرا الى سـورات في حصـار هرمز بل توجهت السفينة (ليون) به وبمرافقية من الضباط الى سورات مكرما من قـبل قائدها (جـيمس بفرشـام) وبحارة السفـينة وطباخـها (توماس وينتـربورن) وكان القصـد من ذلك هو افتداء روى فـيريرا او مـبـادلته بـالسجنـاء الانجليز فـي مكاو في الصين والذين اخـذوا مع السفينة (يو نيكورن) في جنوب الصين عام 1619.

كـان بحوزة روى فـيـريرا اثناء القبـض عليه توجـيـه ملكي من ملك اسبانيا بمهاجمة سفن الانجليز في الخليج..

في مـيناء سوالى اسـتطاع فـيريرا خـداع الانجليـز باعطائهم نبيـذا مـخلوطا مع مـادة منومـة اسـتطاع الحـصول عليـه بواسطة خـادمـة الهرمـزي من منطقة قـريبة تابعة لـلبرتغال بعـدها استطاع فـيريرا من الهـرب (عندمـا غـلب النعـاس على الجنود الانجليـز) ورغم مطاردته بواسطة الفرسـان الانجليز من سورات وبأمر من حاكـم البلاد استطاع فيريرا الوصول الى دامـو بعد فقدان احد مرافقيـه ومنها الى جوا حيث حصل على برائته من التهم الموجهة اليه ومنها الى مسقط.

ويقال ان فيريرا قد قدم رشـوة الى ربان السفينة (ليون) ولكنه على كل حـال كتب الى قـائد منطقة سـورات يعـده باطلاق سراح الانجليـز في مكاو.

في مسـقط التحق فيـريرا بـ قسطنطينو ديسا والذي كـان قد ارسل بواسطة فرانو دي البـوكيرك من جوا في ابريل 1622 لمسـاعدة القلعة المحاصرة في هرمز.

عند وصـول فيـريرا الى مـسقط كـانت هناك خـمس عشـرة سفـينة برتغالية وعدد مماثل من سفن محليه صـغيرة ـ اعدها مع ديسا للتوجه الى هرمـز.. ولكن وفي الطريق قـابلوا سفن قـادمـة من هرمز حـاملة اللاجئين الى مـسقط وصحـار فتراجع ديسـا رغم اصرار فيـريرا وعاد باسطوله الى مسقط.

لقد كانت فـعلا هناك فرصة لهـجوم مفاجيء من فـيريرا على الحلف الانجلو فـارسي والذي اسكره النصـر وكان الخـوف مرافـقـا للسيـد مونوكس ممثل شركة الهند في جسك من حدوث مثل هذا الهجوم وكتب مونوكس في يوميـاته قائلا «لا اعتقد ان نائب الملك في جـوا سوف يقبل سـقوط هرمـز وانني مـتأكـد بانه سوف يرسـل كل ما يملك من سـفن حربية لاسـترجاع قلعته وسـوف تتحول اغنيتنا اغنيـة السلام والنصر الى اغنية اخرى نفقد فيها فخرنا وفرحنا بالانتصار على البرتغاليين».

بعد هذا نعتقد ان الانجليز كـانوا محظوظين لان ما قاله مونوكس هو ماكان قد قـرره فيريرا مع عائق رئيسي امـامه بانه لم يكن قائد اسطول مسقط.

لم تكن احداث قشم بعيدة عن التفكيـر السياسي في بلاط اسبانيا ولم يغفل الاسبـان المدلول السياسي لسـقوط قشم وكانوا يعلمـون جيدا ان القلعة التـالية في السقوط هي هرمـز. لذا قرر البلاط الاسبـاني ارسال السفن الحربية للمساعـدة ومن ثماني سفن تم ارسالها الى جوا وصلت واحـدة فقط (سـاو جون) الى جـوا اما البـاقى فـقد في الطريق وكـأن مصـير البـرتغال ومائـة عام من الحكم البـرتغالي في الخليج قـد تقرر انذاك.

وبعد فشل بعـثة مارس 1621 ارسلت اربع سفن اخرى في سبـتمبر 1621 وفشلت كلها في عبور رأس الرجاء الصالح.

في 23 مارس 1622 كـتب السير والـتر استـون سفيـر انجلترا في مدريد قائلا في التـاسع عشر من هذا الشهر غادرت لشـبونه اربع سفن تحمل نائب الملك الجديد الى جوا ترافـقها اربع سفن طوال تحمل الجنود والعتاد ومـعها حاكم هرمز الجديد لقـد كان نائب الملك الجديد هو الدوم فرنسيسكو ديجاما والذي شغل هذا المنصب منذ خمسة وعشرين عاما.

في يوليـو من نفس العام اصطدم هذا الاسطول البـرتغالي مـع سفن اسطول الحلف الانجلو ـ هولندي قـرب موزمبيق وحـطمت اغلب سفنه عدا واحدة (ساوسلفادور) والتى اسـتطاع قائدها القبطان كونسالو دي سكويرا ديسوزا ايصالها الى مسقط في اغسطس في نفس العام.

في سبتمـبر من نفس العام قرر روى فيريرا وديسا مـغادرة مسقط ال جوا بعد ان تـركا كونسالو دي سلفـيرا قائدا لمسقط ومضـائق هرمز الى حين عودتهما.

وقرر الفـرس بعد نجاح مـعركة هرمـز التوجـه الى مسقط وتدمـير المواقع البرتغاليـة فيها فيها ولكن رفض الانجليـز ذلك وذلك لسوء حالة البحارة بعـد ان اصيبوا بالامراض لذا قـرر القادة الانجليز ويدل وبليث العودة الى سوالي في سورات في سبتمبر من 1622.

ومع نشـوة النصر لا تزال عـالقة في اذهان الفـرس قرروا اقـتحـام المعـاقل البرتغـالية الاخـرى فـهاجـموا صـحار والمواقع الاخـرى على السواحل العربيـة ـ وكان دخول صحار بداية لمعركة مع سـفن برتغالية صغـيرة تحت قيـادة كونسالو دي سكويرا والـذي استطاع طردهم من صحار الى هرمز وفي معركة ثانيـة بعد عودتهم استطاع دوم كونسالو دسلفيرا هزيمتهم قرب مسقط.

في مايو 1623 عاد روي فيـريرا الى الخليج مع قوات وسفن جديدة قدمـها له نائب الملـك في الهند والذي نصحـه بالتخلي عن فكـرة دخول سلك (الرهبان الأغـسطينيين) وبدل من ذلك منحه لقب (قبطان مـضائق هرمز والبحر الاحمـر) وفي محاولة منه لاستعادة سمعـته السابقة قرر فـيريرا بـدء الحرب في الخليج ومـن جديد مـبـتدأ في صـحـار والتى استـردها من الفـرس مرسلا اخـبار عـودته الى ميـاه الخليج وموانـئه ومثيرا لرعب مرة اخرى في كل بقعه سبق وان حرقها او دمرها..

بعد صـحار ضـرب فيريرا طوقـا بحريا حـول هرمز واقفـل المضائق ومنع الحركة الملاحية في البحر وقام بتدمير الموانيء والمساكن على البر ولم تسلم مـن ذلك غـيـر بعض السـفن التى اسـتـطاعت الوصـول الى جامبرون تحت جنح الظلام في الليل.

في نهاية عام 1623 رفع فيريرا الحصار وعاد الى مسقط وذلك بسبب النقص في الرجال والعتاد، ويذكر (ديلابيلا) ان كراهية نائب الملك لفيريرا ادت الى عدم تقديم اية مساعدة له من جوا والتي لو حصل عليها كان من الممكن احتلال هرمز مرة اخرى.

ومع ذلك استطاع فيريرا في فترة الحصار المذكورة التعرض الى السفن الانجليزية والهولندية والراسية قرب القلعة (الانجليزية ريفورماشين) والهولندية (هيوسلون) والتي كانت تعتبر اول سفينة هولندية في الخليج ومع احتراق بعض السفن العربية قرب قلعة هرمز استطاع الهولنديون من اخماد الحرائق المفتعلة على سفينتهم والسفينة الانجليزية. ومع التفوق البحري لروى فيريرا في مياه الخليج فأن الاسطول البرتغالي في جوا ظل يعاني النقص في السفن والرجال وذلك بسبب تحطم السفن القادمة من تاغوس في البرتغال الى الخليج.

في عام 1624 طلب باشا البصرة العون من فيريرا في صد الجيش الفارسي المهاجم بقيادة امام قلي خان واستجاب فيريرا لذلك الطلب ولكن يبدو ان عدو الامس (العثماني) اصبح صديق اليوم وان العداوه القائمة منذ اكتشاف البرتغاليين لطريق الهند اصبحت مسألة ثانوية في مجابهة عدو فارسي مشترك.

لقد كانت البصرة ثاني مركز تجاري بعد مسقط بالنسبة للبرتغاليين وخاصة بعد سقوط هرمز - وتم بالفعل ارسال ستة سفن كبيرة بقيادة الدوم كونسالو داسلفيرا ورغم صغر حجم هذه القوة البرتغالية الا انها استطاعت ارغم امام قلي خان على الانسحاب من منطقة البصرة في عام

1625 ـ هذا النصر البسيط في البصرة اصبح شوكة تؤرق الفرس مرة اخرى ولذا نجد ان خان شيراز استدعى العون الانجليزي ملتزما بكل التكاليف هذه المرة.

لقد تغيرت الاوضاع الان واختلفت القوى السياسية لذا نجد ان الانجليز رفضوا الدخول في مشروع حربي اخر مع الفرس خوفا من تطور الامور الى حرب معلنة ضد الاتراك وهذا امر لم يكونوا راغبين فيه.

في نوفمبر 1625 عاد الدوم كونسالوا الى مسقط والتحق مرة اخرى بروى فيريرا في اغسطس من العام التالي ضرب روي فيريرا حصاره الثاني حول هرمز واستخدم في ذلك ثلاثون سفينة كبيرة وصغيرة وادى هذا الحصار هذه المرة الى شلل كامل للملاحة في مضائق هرمز وضربة قوية للملاحه الفارسية والتجارة المنقولة الى موانىء فارس.

لقد كان لهذا الحصار الجديد اثره القاتل في حركة التجارة في مياه الخليج والمدمر على الوجود الفارسي فيه ولذا تقدم الفرس مرة آخرى للانجليز طالبين العون والمساعدة علما بأن الانجليز قد تأثرت حركتهم التجارية ايضا نتيجة للحصار المضروب على هرمز ولكن الطلب الفارسي هذه المرة لا يفتح جبهة انجلو ـ تركية في مياه الخليج ولن يعرض العلاقة التركية الانجليزية لأي ضرر ولذا اصبح الامر الان من يصل قبل الاخر الى هرمز روى فيريرا وبعض السفن التى وصلت حديثا الى جوا مدعمة بذلك الاسطول البرتغالي ام سفن الحلف الانجلو ـ هولندي والذي كان ينتظر اوامر الابحار في سوالي ـ مع بقاء الطرف الفارسي ملتزما مع الطرف الانجلو ـ هولندي.

في 23 ديسمبر 1624 وصلت السفن الهولندية الى هرمز وتلتها في ذلك السفن الانجليزة ولذ كان فيريرا في الانتظار قرب لاراك للسفن القادمة من جوا (سفن القائد نونو الفاريز بوتيلو) والتى ابحرت الى الخليج في السادس من يناير 1625.

رغم تعرض سفن القائد بوتيلو للعواصف وتحطم صارية سفينة القيادة مع ذلك اصر على مواصلة الابحار الى هرمز دون اي توقف في مسقط.

لقد طلب الانجليز من الحامية الفارسية في جزيرة قشم اطلاق مدافعها حال مشاهدة السفن البرتغالية وقد تم ذلك فعلا في العاشر من فبراير 1625 ـ وفي صباح اليوم التالي ابتدأت معركة رهيبة في مياه الخليج بين القوى الاوروبية وسوف نقوم باعطاء نبذة عنها.

ابتدأت السفن الهولندية المعركة وتدخلت السفينة الانجليزية التايمز وقتل القائد الهولندي في بداية المعركة واستلم الانجليز المواقع الامامية واستمرت المعركة بكل قوتها وحرارتها الى المغيب ـ قتل الكثير من القادة البرتغاليين والجنود ومع ذلك بقيت الروح القتالية عالية بين البقية الباقية منهم ـ

بعد توقف مؤقت تزود خلاله الحلفاء بالماء والمواد اللازمة من جامبرون ابتدأت في 13 فبراير معركة اخرى واحترقت خلالها سفينة انجليزية قبل ان ينال منها البرتغاليين وعند المساء وقعت سفينة برتغالية في يد الحلفاء لم يبق من بحارتها المائتين والخمسين غير سبعة او ثمانية وقتل من سفينة القيادة البرتغالية اعداد كبيرة واصيب الجميع

بالاعياء الكامل واصــيبت السفن البرتغاليــة جميعا في عـدة اجزاء منها، بعدهــا انتقلت الارماده الــبرتغاليــة الى جزيرة لاراك في انتظــار سفن الحلفاء عندما تغادر مياه الخليج وتم بالـفعل عبور سفن الحلفاء ولكنهم قرروا عـدم الاشتباك مع ســفن البرتغال بقـيادة بوتنليهـو ـ علما منهم بالخطة المبيتة ـ حاول حاكم مـيناء جامبرون رشوة الحلفاء بمبلغ 500 تومان شهريا ليبقوا دفاعا من المناطق الفارسية ولكن رفض الهولنديون ذلك العرض ووجد الانجليز انفسهم عاجزون عن الموافقة.

في 23 فـبراير غـادرت السفن الهـولندية والانجليـزية ميـاه الخليج ومعها وفي حمايتهـا ثلاث سفن هندية ورافق هذه السفن سفير فارسى الى هولندا.

وقرب رأس مـسندم ابتدأت مـعركـة ثالثة بين الحلفــاء والبرتغــاليين تدخلت سفن البرتغال لحماية سفـينة القيادة التابعة لها وبعد يوم طويل من تبادل القذائف المدفعية توقـفت المعركة مع قدوم الظلام. بعدها توجه الانجليز الى سوالى والبرتغاليون الى مسقط.

ادعى كل طرف بتـفـوقه في المـعركـة وانتـصاره والحـاق الهـزيمة بالطرف الاخـر وربما نتســاءل مدى فـائدة هذه المعركـة وماذا حقـقت الاطراف المتحـاربة فيـها غيـر الدمار للســفن المتحاربة والـقتل لجنود الحلفاء والبرتغاليين. ولكن يبدو ان الشــعور لدى الطرف البرتغالي كان احسن من طرف الحلفــاء ولأول مرة بعد سقــوط هرمز اعتقد الــبرتغال انهم اســتعــادوا الثقــة بانفســهم واصبــحوا مــرة اخرى قوة فـوق الماء يخشاها الجميع ـ ولقد كـان الفضل في هذا الانتصار الاسمي يعود الى

حكمة القائد البرتغالي نونو الفاريز بوتيلهو والى مدى ارتباط واحترام جنوده له وطاعتهم العمياء في جميع الحالات لما كان يتميز به من شخصية تختلف في رونقها وقدراتها القيادية عن شخصية روي فيريرا الضعيفة.

لقد كان هناك عامل اخر مهم بالنسبة لهذا القائد وهو حسن اختياره لجنوده وضباطه فقد كان كل اهتمامه مركز على اختيار الاكفاء من جنود وقادة البرتغال في جوا (بعكس ما اعتقد الانجليز والهولنديون بأن سفن البرتغال والقادمة من جوا كانت مليئة بالايرلنديين والاسكتلنديين المرتزقة). بعد هذه العمليات العسكرية اثار المجلس الحاكم في جوا مسألة مصير اسطول هذا القائد، وبناء عليه واثناء اجتماع المجلس المذكور نتج عن قرارين الأول منهما ابقاء الاسطول في الخليج لحماية الطرق الملاحية وتأمينها ضد الاسطول الانجلو ـ هولندي ـ هندي ـ المشترك اما الرأي الاخر فقد كان اصحابه يطالبون بعودة الاسطول الى السواحل الغربية للهند وانتظار سفن الاسطول الانجلو هولندي والتى عادة ما تبحر من سوالي في طريقها الى اوروبا.

لم يصل المجلس الى قرار نهائي ولذا ترك الامر في يد روى فيريرا والقائد بوتيلهو وبالفعل تم توجيه رسالة لهما من جوا في الحادي عشر من ابريل 1625 وارسلت في نفس الوقت كميات كبيرة من الاخشاب والنقود والمواد الغذائية.

وبعد نقاش طويل في اجتماع المجلس الحربي في مسقط ثم الاتفاق على ارسال السفن الى سوالي في انتظار سفن الحلفاء والتى مزمع

مقابلتها في شهر سبتمبر.. وكان القصد من ذلك منعها من الوصول الى الخليج الامر الذي سوف يسرع من سقوط هرمز وكان صاحب هذه الفكرة روى فيريرا في حين تطوع بوتيلهو للعمل تحت قيادته ومعه ستمائة من الجنود حملة البنادق.

ومع الحصول على اغلبية الاصوات رجحت فكرة فيريرا في التوجه الى سوالى وبناء عليه ارسلت سفن الاسطول مع بوتيلهو لحصار سوالي وبقى فيريرا محاصراً لهرمز.

لقد تميز الفاريز بوتيهلو بروح عسكرية انضباطية ولذا ورغم معارضته للفكرة وافق قرار فيريرا واخذ في الاستعداد للحرب القادمة وبقى طيلة ايامه وفي جو مسقط الحار في الاعداد للحرب واصلاح سفنه. ولكنه اضطر الى ارسال سفينتين (سان سباستيو وترينداد) الى جوا مقدماً لعدم توافر الامكانيات لاصلاحهما في مسقط.

ومع اكتمال الاستعداد توجه بوتيلهو الى الهند وكان اول عائق يصادفه تلك العاصفة التى قذفت بثلاثة من سفنه على شواطىء بومبي (مسيروكورديا، وسانتوانتونيو، وسانتياجو) وبقيت لديه اربع سفن يقوم بواسطتها تنفيذ الخطة المطلوبة ومع شعور الانتصار الاول في مياه الخليج حاول بوتيلهو اثارة الاسطول الانجليزي والهندي في سوالي للخروج لمقابلته وحتى انه اعطاهم فرصة للخروج من المخبأ الطبيعي في هذا الميناء ومع مرور الوقت خرجت ثلاث سفن انجليزية متوجهة الى الخليج (ليونز ـ بالجراف ودولفين) واشتبك معها اسطول بوتيلهو وكاد الانجليز ان يفقدوا السفينة ليونز ولكن ورغم الدمار

استطاعت ان تصل الى هرمز حيث اشتبك معها فيريرا وقتل كل بحارتها الناجين من الغرق ماعدا الطباخ الذي قام على خدمته (عندما كان فيريرا اسيرا على نفس السفينة في طريقه الى سورات وبعد سقوط قشم). غرقت السفينة ليونز قرب هرمز (ونجا توماس ونتربورن الطباخ) وارسلت الرؤوس المقطوعة (الستة والعشرون) وفي كيس من حرير فارس الى وكلاء شركة الهند في جامبرون ومعها رسالة تقول ان ماقام به روى فيريرا هو انتقاما لعساكر هرمز الذين قام الانجليز بتسليمهم الى الفرس عندما سقطت قلعة قشم.

في نفس الوقت كان اشتباك السفينة بالجراف ودولفين مع سفن الفاريز بوتيلهو مدمرا حيث اضطر الى العودة الى بومبي من اجل اصلاح سفنه.

في يناير 1626 استطاع الفاريز بوتيلهو الابحار من بومبي ترافقه سفن الدعم البرتغالي المرسلة من جوا (ساوسباتياو ، وساوجورينمو) والتى كانت تحمل خمسمائة وخمسين جنديا وثمانون مدفعا وكان القرار بان ترسل هذه السفن جميعها الى مسقط في حين اجتمعت اكثر من خمسة عشرة سفينة انجليزية وهولندية في ميناء سوالي.

ولم ترسل السفن البرتغالية لحماية مسقط وذلك بسبب انسحاب فيريرا من هرمز وعودته الى مسقط في نهاية 1625 ـ في النهاية تقرر ارسال البقية الباقية من سفن الارمادة البرتغالية في الهند الى مضيق باب المندب لا عتراض السفن العابرة هناك ومصادرتها وبعدها وبصفة تدريجية تنتقل الى طوى ومسقط ثم تعود الى سوالي لعلها تستطيع

مباغتة سفن هندية وحيدة في مياه ذلك الميناء وتستطيع مصادرتها دون تدخل من الاسطول المشترك (اسطول انجلترا وهولندا).

في شهر ابريل غادرت سفن الفاريز بوتيهلو مياه باب المندب وكان ذلك من حسن حظ السفن الهولندية المتوجهة الى مخا في اليمن تحت قيادة هومان فان سبيلت والذي توفى هناك.

بعد مسقط توجه بوتيلهو الى سوالى ولم تدخل معه السفن الهولندية المتواجدة هناك في اية معركة ومنها الى دامو وثم الى ديو.

في ديسمبر 1626 اتجه الاسطول الانجلو ـ هولندي الى الخليج ولم يعترض بوتيلهو او فيريرا سبيله وعاد الى سوالي في مارس 1627 وفي كل مرة يزور هذا الاسطول الاراضي الفارسية يتقدم الفرس الى قيادته محاولين الحصول على اتفاق معهم لمهاجمة مسقط.

في 29 مايو 1627 ضربت عاصفة قوية اسطول الفاريز بوتيلهو ففقد ثلاثة من سفنه مع رجالها ودمرت سفينته القيادة واصبحت غير صالحة للملاحة.

وانتقل الفاريز في سفينته شبه الغارقة الى طوى ومن هناك تم قطرها الى مسقط ومع وصوله الى هناك اصبحت خطة فيريرا في حصار هرمز شبه مستحيلة. واصبح الطريق الان مفتوحا للسفن الانجلو ـ هولندية من الهند الى الخليج.

في ديسمبر 1629 خرج راجا اشين في سفنه محاصرا ملقا في اكبر عملية تحدي للوجود البرتغالي في الشرق بعد سقوط هرمز وحاولت السلطة البرتغالية في جوا ازاء هذا الخطر الجديد جمع قواها لمجابهته لذا طلب من الفاريز بوتيلو وباقي سفنه سرعة الانتقال الى ملقا.

في نهـاية 1629 توفى الشاه عـباس وتلاه الشـاه صفى علـى عرش الصـفويين وابتـدأ عـهده بحـرب جـديدة على الاتراك وحـصار بغـداد وبالمقابل عقد صلحا مؤقتا مع روي فيريرا والممثل للوجود البرتغالي في الخليج، وفي 1630 وقع خـان شـيراز (وبنـاء على توجيـه من الشـاه صفي) مع روى فيريرا اتفـاقا يسمح للبرتغاليين باستـخدام ميناء كونج وبنفس الشروط التى يستـخدم الانجليز ميناء جامبـرون وبهذا الاتفاق اصـبح هناك وجود برتغـالي مـرة اخرى على الاراضـي الفـارسيـة مع صـلاحيـات تواجـد وكيل عنهم يقـوم بجـمع الضرائـب لملك البرتغـال ويصدر التصاريح البرتغالية للسفن المغادرة من ميناء كنج.

حاول روى فيريرا الحصول على تعهد انجلو ـ هولندى بعدم مهاجمة سفن البرتغال القادمة او المغـادرة لميناء كنج ولكنه وبطبيعه الحال فشل في ذلك. ولكن سـمح لروى فـيريرا ببـناء قلعة في جـلفار وفي مـوقع استراتيجي نسبيا وغنى باللؤلؤ تجاريا.

بعد هذا الاتفاق والسلام النسبى فـي الخليج استدعي اسطول فيريرا الى جوا وذلك للاشـتراك في حـملة بحرية عـسكرية سريه قـالت عنها الشائعات ربما تكون ضد الانجليز في سوالي او الهولنديين في ملقا.

في ديسمـبر 21 / 1630 وصلت سفن فـيريرا الى جـوا وبقيت هناك الى مايو 1631. ومن جوا عاد الى مسقط بعد ان الغيت الحملة التى كان نائب الملك الدوم ماجـويل دي نورونها كان قد اعدها لمجـابهة الاسطول الهولندي في ملقا.

كانت الاسباب الرئيسية لالغاء هذه العملية الحربية موت الفاريز بوتيلهو في معارك قرب جامبي ومقتل كوستانتينو ديسا وتدمير جيشه قرب سيلان.

ومع بقاء فيريرا والبقية الباقية من سفن البرتغال كان الانجليز مضطرين دائما للابحار برفقة سفن اخرى في مياه الهند والخليج وبعد ان كانت سفن هولندا اصبحت الان السفن الفارسية التى عادة ما تفارق سفن الانجليز حين وصول الاخيرة الى جسك.

وكما توقع الانجليز عاد فيريرا الى الخليج محاولا رشوة خان شيراز بستمائة تومان مقابل السماح له باستخدام هرمز ومنع الانجلير والهولنديين من حرية التجارة في الموانىء الفارسية. ولكن رفض خان شيراز كل هذه المحاولات.

في عام 1631 اجتاح الفيضان ـ سورات والمناطق المحيطة بها مما اضطر ممثل شركة الهند الشرقية في سورات التركيز على تجارة الحرير الفارسية ولذا قرروا ارسال السفن الانجليزية بصورة مباشرة الى جامبرون بدل انتظارها لسفن فارس في جزائر القمر وكان ذلك يعنى ان تتكدس البضائع الفارسية في جامبرون في انتظار نقلها بواسطة سفن الانجليز الى الهند والخوف من هجوم برتغالي على ميناء جامبرون وسلامة البضائع المخزنة ولكن كانت هذه المخاوف تقابلها مناعة قلعة جامبرون وقوة حاميتها الى جانب الالتزام من قبل البرتغاليين بالاتفاقية الموقعة مع الفرس والتى تزامنت مع بناء قلعة كنج بواسطة البرتغاليين.

ومع ذلك لم يهدأ بال خـان شيراز وحاول في عـام 1632 مرة آخرى (مع القوى البحرية الهولندية والانجليـزية) بدعوتهم الى الاشتراك معه في غزو مـسقط واسترجاعـها من البرتغـاليين ولكن مع وعود هولندية بالموافقة وتملص انجليز من الاتفاق.

الا ان الاقـدار كـانت دائمـا مـثل العـواصف والـزوابع التى تصـيب الاسطول البرتغالي فقط كانت هذه الاقـدار مرة اخرى الى جانب الفرس والحلف الانجلو- هولندي فقـد قتلت الحمى روى فيريـرا في مسقط في ديسمبر 1632 بعـد ان قضى اثنا عشر عاما على ظهر سفـينته محاولا ابقاء الهيـمنة البرتغالية في الخليج ودحر القـوى الاوروبية الاخرى منه وتشاء نفس.. الاقدار في ان يختفي ايضا وفي نفس العام امام قلي خان وكل افراد عائلته نتيجة مذبحة كبري دبرها الشاه صفى ضده.

في فبراير 1633 وصل القائد البحري ويدل الى جامبرون في سفن تم اعدادها بواسطة الانجليز في الهند لمساعدة خـان شيراز للهجوم على مسقط وقد بلغته انباء وفاة القائدين فيريرا وقلي خان حال وصوله الى جامبرون فكتب في مارس الى ممثل الشـركة في الهند قائلا «لقد توقف فيريرا واصبحت سـفن اسطوله عاطلة عن الحركة والمناورة، ولقد ادعى الهولنديون بانهم يستطيعون دخول مسقط لوحدهم وجعلها مركزا لهم، وانا أشك في هذه المقولة اذ ان احـتلال مسـقط يحتاج الى قوى ارضـيه كبيـرة ومساعده من خان شيـراز» وباختفاء رموز الصـراع البرتغالي والفارسي واطمئنان الانجليز الى سلامة طرقهم الملاحية قررت انجلترا والبـرتغال فـتح صفـحة جـديدة في تاريخ العلاقـات الثنائية وبالفـعل

ابتدأت في يناير 1633 مـشاورات غيـر رسميـة بين نائب الملك في جوا وممثل شـركة الهـند في سورات ويليـام مـيثـولد وبوسـاطة من الاباء اليسوعيين، ـ فكتب في نهاية ذلك العام ميثولد قائلا «لقد قررنا ان نريح سلاحنا العنيد وان نبدأ محادثات تصل بنا الى الامن والسلام».

وافق نائب الملك كوندي ـ دي ـ لانهارس على هذا العرض وارسل في طلب ممثلى الانجليـز بعد منحـهم الامان في دخـول جوا فـي ديسمـبر 1634 توجه الانجليز الى جوا لتوقيع اتفاقية السلام وجاء يناير 1635 ومعه الاتفاقية المذكورة بين القوى المتصـارعة.

وبهذا اصبح الصـراع الانجلو ـ برتغالي شيئـا من الماضـي واصبحت اتفاقيـة الثامن عشر من يناير 1635 بداية عهد اوروبى جـديد في مياه الخليج.

الفهرس

هناك حقب، أو بمعنى أصح، فجوات في تاريخ منطقة الجزيرة العربية والخليج، لا تزال معرفتنا قاصرة عنها، ليس لسبب عدم توفرها، ولكن لسبب عدم توفر الباحثين المهتمين بهاجس التاريخ، هاجس شخصي، هاجس يؤرقهم، للبحث في استكمال هذه الحقب، أو هذه الحلقات، أو هذه الفجوات في تاريخ المنطقة.

وتأتي سلسلة مطبوعات الأيام التاريخية لتحاول كجهة نشر، تحمل هذا الهمّ التاريخي، ولتساهم بشكل متواضع في خلق توجه عام للاهتمام بهذا الاتجاه في النشر في منطقتنا، ولتخلق وعيا متجذرا لدى القارىء إزاء تاريخ المنطقة.

وتأتي سلسلة كتب الموسوعة البرتغالية من ترجمة وإعداد د. عيسى أمين لتشكل محورا من هذه المحاور التي نريد أن نرسخها من خلال هذه الأعمال التاريخية، التي تحاول أن تقدم الى عشاق التاريخ، ومحبي المعرفة، جزءا من المعرفة، لم تكن غارقة في البحور مثلما غرقت كثير من السفن، ولكنها كانت غارقة في لغة أخرى، وفي خزائن معرفة أخرى.

وتأتي هذه السلسلة لتحاول نقل هذه الكنوز من المعرفة الى لغتنا، والى تاريخنا، والى رؤيانا المعاصرة لتلك المرحلة، والتي أوصلتنا الى ما وصلنا إليه في هذه النقطة الراهنة من تاريخ الخليج المعاصر.

الناشر

